428

HARLEQUIN

روايات أحلام

امرأة للبيع

ساندرا مارتون

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

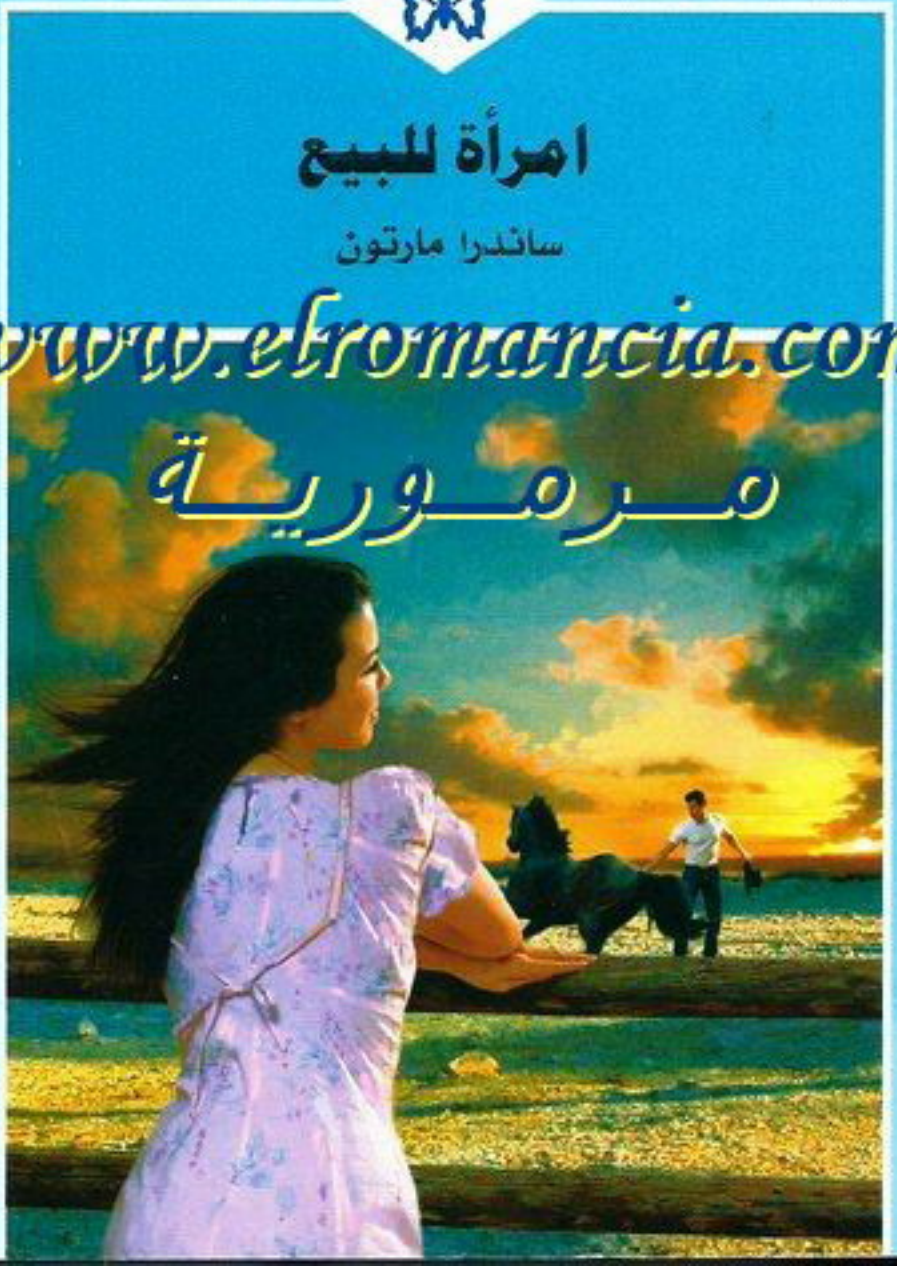

امرأة للبيع

كان الأمير لوكاس ريبز غاضباً لأن جده يريد أن يجبره على الزواج بالجميلة أليسا ماكدونوف.
بالإضافة إلى فقرها، هذه الفتاة شرسة وقد حاولت أن تدهسه بحصانها. وهي الآن تتظاهر بأنها لم تسمح لأي رجل أن يلمسها مطلقاً.
وكادت دماء لوكاس الملكية النارية تنفجر... سوف يجبر أليسا على مغادرة تكساس والذهاب معه إلى إسبانيا، حيث يتمكن من إلغاء زواجهما. بعد أن أقسم بحياة أسلافه المحتلين أنها مجرد امرأة عابثة، وأنها لن تكون مطلقاً عروساً له.

لبنان:	3000ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	100ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2.50دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-396-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The spanish prince's virgin bride
First Published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Sandra Marton 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2008
ISBN 978 - 9953 - 15 - 396 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

١ - رحلة من دون نهاية

اسمه لوكاس ريز. أو على الاقل، هذا هو الاسم الذي يفضله.

إنه أيضاً سمو الأمير لوكاس كارلوس أليسندرو ريز سانشيز من بلاد الأندلس وقشتالة، وريث عرش لم يعد موجوداً منذ قرون عدة، وهذا ما يجعله الحفيد الأصغر المتحدر من سلالة أحد الملوك الفاتحين الذين سيطروا على مناطق واسعة من البلاد.

أما تلك الأرض فهي أميركا. وبحسب ما يقوله لوكاس، ما إن تصل إلى تكساس حتى تدرك أنّ أولئك الفاتحين هم المسيطرون على الأرض، أو.. هذا ما بدا في فترة بعد الظهر من هذا النهار الصيفي الحار.

قاد لوكاس سيارته المستأجرة عبر الطريق غير المعبدة تحت وهج حرارة شمس لا ترحم. لاحظ وجود غيوم سوداء واضحة في الأفق البعيد، فظن في البداية أنها ستلطف الجو، لكن سرعان ما تبين له أن هذه الغيوم شديدة البعد وأنه يسير تحت سماء زرقاء لا نهاية لها. لا شيء يتحرك إلا سيارته التي بدا له أن محركها يحتاج إلى مزيد من الجهد ليتمكن من الاستمرار في التقدم.

اشتدت قبضتا لوكاس على عجلة القيادة، وأطلق شتيمة مقتضبة. إنه الآن في طريقه إلى مكان يدعى المزرعة الكبرى.

في الفترة الأخيرة كان جده على اتصال بالمالك لوسيوس ماكدونوف، الذي أكد له، عبر البريد الإلكتروني، أن هذه الطريق تؤدي مباشرة إلى مزرعته «الكبرى». فكر لوكاس بنفاد صبر: بالطبع! بقدر ما تستطيع الخنازير الطيران!

هذا الطريق لا يؤدي إلى أي مكان، فهو لا يرى أمامه سوى المزيد من الأجمات المغطاة بالقصعين والأعشاب البرية. أما الشيء الوحيد الذي رآه،

والذي يوحي تقريباً بكلمة «الكبرى» فهو أفعى سامة ضخمة.

رؤية الأفعى أصابت رفيقة لوكاس بالهستيريا، فصرخت مذعورة: «ثعبان! آه... يا إلهي! لوكاس، ثعبان!».

أمضت ديلي معظم الساعة الأولى وهي تخبره أن هبوط الطائرة كان متعباً، وأن السيارة التي استأجرها رهيبة إلى أقصى حد ممكن. في الواقع، لوكاس يوافقها على هذا الأمر، ولا يمكنه إنكار ذلك. بعد أن ألقى نظرة واحدة على الخريطة، طلب من مساعده الشخصي أن يستأجر له عربة كبيرة مكيفة. وعندما وصل إلى مكتب تأجير السيارات، فوجىء بالسيارة التي تنتظره، لكن الموظفة هناك أكدت له أنَّ تلك هي السيارة التي حجزها له مساعده.

بدت تلك السيارة للوكاس مجرد صفيحة من التنك مرفوعة على أربع عجلات، لكن على الرغم من اعتراضه عليها لم يتبدل في الأمر شيء، بل أخبروه أن هذه السيارة هي كل ما يتوفر لديهم الآن.

قالت له الموظفة بثقة: «لكن قد نجد لك سيارة مختلفة في الغد».

أطلق لوكاس زفرة طويلة، وقد شعر بالضيق حين أدرك أنه بهذه الطريقة سيمضي المزيد من الوقت إلى هناك، ولم يجد هذا الخيار جيداً، لذا وافق على استعمال هذه السيارة. في الساعة التالية راح يصغي إلى تذمر ديلي عندما أخبرها أن لا مكان لحقيبتها، وللحقيبة التي تحتوي ثوب السهرة أو لصناديق الزينة والحلى في صندوق السيارة الصغير.

قال لها بنفاد صبر: «لن نمضي هناك أكثر من عدة ساعات على أبعد تقدير».

ومع ذلك استمرت في الاعتراض، وأخيراً قال لها إن أمامها خيارين: إما أن تترك كل شيء في طائرته أو تصمت وتصعد إلى السيارة مع أي شيء يمكن وضعه فيها.

صعدت ديلي إلى السيارة، لكنها لم تصمت. ظلت تتذمر وتتذمر بشأن حاجاتها التي تركتها وراءها، وبشأن السيارة والطريق، والآن ها هو تذمرها يأخذ منحى جديداً.

- متى سنصل إلى هناك؟

بعد أن انتهى من قول كلمة: قريباً، انتقل إلى القول: «بعد فترة قصيرة»، والآن ها هو يقول من بين أسنانه: «سنصل إلى هناك عندما نصل».

- لكن متى؟

وقبل أن تنهي ديليا جملتها سُمعت قرقعة قوية صادرة عن صفيحة التنك المتنكرة في هيئة سيارة، وسرعان ما توقف محركها عن الدوران.

سادت لحظة من الصمت لم تطل كثيراً.

- لوكاس! لماذا توقفت؟ لماذا أوقفت المكيف؟ متى سنصل إلى هناك؟ لوكاس؟ متى...

استدار لوكاس نحو ديليا، وسلط عليها نظرته الباردة من عينين بنيتين بلون البندق، فغاصت في مقعدها، لكنها لم تستطع منع نفسها من أن تعلق لمرة أخيرة قائلة بفظاظة: «لا أعلم ما الذي نفعله في مكان كهذا، بكل الأحوال».

هذا أمر آخر يتفقان عليه. الطريق، السيارة، والآن هذا الأمر. ما الذي يفعلانه هنا، بحق السماء؟

في الواقع الجواب بسيط جداً، ديليا هنا لأن لوكاس وعدها بأن يأخذها إلى هامبتونز في عطلة نهاية هذا الأسبوع، وعندما أخبرها أنه لن يستطيع القيام بذلك، قطبت حاجبيها إلى أن قال لها إنه سيأخذها معه إلى تكساس. أما لوكاس فهو هنا لأن جده أعلمه بصورة مفاجئة أن عليه لقاء لوسيوس ماكدونوف في تكساس، في مزرعة تدعى المزرعة الكبرى.

سأله لوكاس: «من هو هذا الرجل؟ لم أسمع به ولا بمزرعته يوماً».

قال فليكس: «ماكدونوف يربي خيولاً أندلسية».

- وماذا أيضاً؟

بالطبع هناك المزيد من وراء هذا الطلب، فمزارع عائلة ريز تربي أجمل الخيول الأندلسية في العالم، ولديها أفضل الخيول الموجودة في إسبانيا كلها، وإن كانت هناك مزرعة في تكساس تدّعي تربية الخيول الأندلسية أيضاً، فلماذا لم يسمع بها لوكاس من قبل؟

أجاب فليكس: «لديه شيء أتمنى أن يثير اهتمامك!

قال لوكاس بنبرة تنم عن عدم التصديق: «أهو حصان... فحل؟».

ابتسم جده، بل في الواقع قهقه بصوت عال، فرفع لوكاس حاجبيه مستغرباً.

- هل قلت كلاماً مضحكاً، جدي؟

- لا، على الإطلاق، كل ما في الأمر، أنه ليس كذلك.

- أتريدني أن أذهب لمعاينة فرس أندلسية في مزرعة لم يسمع بها أحد؟

- إنها ليست أندلسية.

يا إلهي! لا بد أن ذاكرة فليكس بدأت تضعف.

قال لوكاس بلطف: «لكن نحن نربي الخيول الأندلسية فقط».

حدق الرجل العجوز إليه بغضب، وقال: «هل أبدو لك خَرِفاً، بني؟ أعرف تماماً ما الذي نربيه. لكن... أنا واثق، أنها من سلالة ممتازة، وأنها جميلة الشكل».

- هناك العديد من الأفراس التي تملك صفات جيدة هنا في إسبانيا.

هز فليكس رأسه وعلّق: «بالطبع، لكني حتى الآن لم أحظَ بواحدة تملك ما يكفي من الذكاء والجمال والقلب القوي لتحسن سلالتنا».

وبما أن لوكاس يدير مزارع ريبز منذ عشر سنوات، تفاجأ من ذلك الإعلان.

- لم أكن أعلم أنك كنت تبحث، جدي.

- أنا أبحث عنها منذ سنين، لوكاس.

جملة أخرى تحمل ألغازاً في مضمونها. ففي المزرعة عدد كافٍ من إناث الخيول الممتازة، وفي الواقع، اشترى لوكاس فرساً جديدة مؤخراً.. مع ذلك يبدو فليكس متأكداً مما يقوله.

نظر لوكاس إلى جده نظرة متفحصة. هل أبدو لك خرفاً؟ هذا ما قاله، لكن فليكس بلغ الخامسة والثمانين من عمره منذ بضعة أيام، وهذا ليس...

- آه، لوكاس! ما زلت شفافاً الآن تماماً كما كنت وأنت صبي صغير تحاول إقناعي بأن أدعك تروض حصانك الأول.

ضحك فليكس ولف ذراعه حول كتفي لوكاس، ثم تابع: «أطمئنك بني أن ذاكرتي بألف خير. عليك أن تثق بما أقوله، أنا لا أطلب منك مطاردة مشروع أحمق لا طائل منه».

تنهد لوكاس: «أحقاً تريدني أن أقطع هذه المسافة كلها إلى تكساس من أجل شيء لا حاجة لنا به؟».

- لو كنا كذلك، لما طلبت منك الذهاب.

- لكنني غير موافق.

رفع فليكس حاجباً كثيفاً أبيض الشعر، وقال: «وهل طلبتُ موافقتك؟».

وهكذا انتهى النقاش. لا أحد يصدر الأوامر للوكاس ريبز مطلقاً، لكنه يحب جده من كل قلبه، فالرجل العجوز هو من رباه وأمّن له كل الحب الذي عرفه لوكاس في حياته. لذلك رفع لوكاس كتفيه باستسلام، سيذهب إلى تكساس، مع أنه لا يستحق مثل هذا العقاب.

قال ذلك لجده ببساطة، لكن لسبب ما، ضحك فليكس وكأن ما سمعه منه هو أفضل نكتة تفوه بها يوماً.

قال له: «لوكاس! ثق بي بني، ما ينتظرك في تكساس هو ما تستحقه بالتحديد».

والآن، فيما هو ينظر إلى الطريق المقفرة والسماء الشاسعة والشمس الحارقة والمرأة المتذمرة بجواره، أدرك لوكاس أن جده كان مخطئاً بلا شك. لا أحد يستحق هذا مطلقاً.

- ألن تعيد تشغيل محرك السيارة؟

بدا صوت ديليا مثقلاً بالسخط. لم يضيع لوكاس الوقت بالإجابة، وبدلاً من ذلك حاول تشغيل المحرك، وهو يضغط على دواسة الوقود، لكنه ما لبث أن أطفأه...

- لا أمل!

تمتم متذمراً، مطلقاً بضع شتائم تليق بالمتشردين في شوارع سيفيل. بعدئذٍ رفع مزلاج الغطاء، ثم فتح الباب وخرج من السيارة.

لفحته الحرارة بقوة، فبدا كأنه تعرض لهجوم مفاجيء على الرغم من توقعه ما سيحدث.

على العكس من ديليا، التي ارتدت ثياباً جديرة بالازدراء في مثل هذه المنطقة النائية، ارتدى لوكاس ثياباً تناسب صيف تكساس، وانتعل حذاء ذا ساقين طويلتين. بالطبع، لم يكن حذاؤه جديداً أو من الجلد اللامع بل هو حذاء مريح، وقد انتعله مراراً من قبل. ما الذي سيرتديه الرجل عندما سيمضي يومه في مطاردة حصان؟ حذاء طويل الساقين وسروال جينز باهت اللون، غُسل مراراً حتى أصبح بنعومة الحرير، وقميصاً رمادية مفتوحة عند العنق. كما أنه رفع كميه إلى الأعلى. بكلمات أخرى، ارتدى ثياباً مناسبة جداً للمكان، لكن ذلك لم يعطِ أية نتيجة، فما إن خطا خطوة واحدة إلى خارج السيارة حتى بدأ يتصبب عرقاً.

صرخت ديليا بطريقة مسرحية: «آه.. يا إلهي! سأحترق من الحرارة إن لم تغلق الباب».

أذعن لوكاس، وصفع الباب بقوة جعلت السيارة تهتز.

بعدئذٍ شدّ فكيه، وسار نحو غطاء محرك السيارة، فرفعه ونظر إلى الداخل. بعد قليل تمدد على الأرض وتفحص بنظره أسفل السيارة. لكنه في الواقع، لم يعرف شيئاً إضافياً عما كان يعرفه قبل قيامه بذلك كله: هذا الشيء الذي يتنكر بزي سيارة قد لفظ أنفاسه. سحب هاتفه الخليوي من جيبه، وعندما فتحه رأى تلك الكلمات المخيفة: غير موضوع في الخدمة.

تمتم: «تباً!».

وضرب بقبضته على زجاج نافذة السيارة من جهة ديليا: «افتحي الباب!».

حدقت به هذه الأخيرة، وفتحت الزجاج مقدار إنش واحد: «ماذا؟».

- هل تحملين هاتفك النقال؟

- لماذا؟

لو أن أسنان الرجل يمكنها أن تنسحق على بعضها من شدة الضغط عليها لانسحقت أسنان لوكاس في تلك اللحظة.

تنهدت ديليا بانزعاج قبل أن تمسك حقيبة يدها التي لا يزيد حجمها عن حجم اللعبة المعلقة بكتفها، وهي من الجلد الأبيض الفاخر. كل ما ترتديه مصنوع من الجلد الأبيض؛ قبعتها السخيفة العريضة التي تجثم على شعرها المصفف بعناية لدى مزين الشعر، قميصها القصيرة وسروالها الضيق، كذلك حذاؤها الطويل الساقين والمرتفع الكعبين. بدت مثيرة للسخرية بمظهرها هذا، وأدرك لوكاس بتأكيد حازم، أن ما كان يفكر به منذ فترة حقيقي تماماً: علاقتهما وصلت إلى نهايتها المتوقعة. فسوف ينهي هذه العلاقة ما إن يصلا إلى نيويورك.

وكأن ديليا قرأت ما يفكر به، فعمدت إلى وضع الهاتف بعنف في يده الممدودة. من نظرة واحدة إلى ذلك الهاتف أدرك لوكاس أنه من النوع الذي لا يحتاج إلى شحن دائم، ربما هناك أمل ما...

عندما فتح الهاتف، لم يرَ تلك الكلمات المزعجة: «غير موضوع في الخدمة». لكنه لم يحصل على أية إشارة إرسال أيضاً. رفع الهاتف مادّاً ذراعه إلى الأمام، ثم إلى الأعلى، بعدئذ راح يقفز على الأرض بخطوات متتالية في كل الاتجاهات علّه يتمكن من إجراء الاتصال، لكن من دون جدوى.

شتم بصوت مسموع، وسار إلى الأمام متجاوزاً السيارة، ثم عاد إلى خلفها. مشى على الطريق صعوداً، ثم نزولاً. وسار عبر الممر الحجري الضيق على حافة الطريق. ثم عاد إلى الطريق... إلى وسط الطريق.. آه! إنها أعجوبة الأعاجيب... لمعت إشارة إرسال على شاشة الهاتف.

ابتسم لوكاس وقد شعر بالارتياح، ثم رفع قبضته في الهواء، ففقد الإرسال مجدداً. قال لنفسه: اهدأ وخفف عن نفسك! تحرك ببطء شديد، وهو يراقب الشاشة... وأخيراً. عادت إشارة الإرسال، ثم إشارة أخرى، وأخرى.. ثم سمع صيحة.

- ابتعد...!

رفع رأسه بسرعة، فرأى حصاناً يندفع بسرعة البرق نحوه، وعلى صهوته فارس منحن فوق رقبته. مع ارتفاع صوت وقع حوافر الحصان ارتفع صياح

فارسه.

- تباً لك! ابتعد عن الطريق!

قفز لوكاس إلى الوراء، فتعثر وسقط في القناة، بينما مرَّ الحصان كالبرق، وليس بينه وبين لوكاس سوى قيد أنملة. قفز لوكاس بسرعة واقفاً على قدميه، وصرخ بصوت عالٍ. في اللحظة نفسها التفت الفارس إلى الوراء، فرأى لوكاس قبعة رياضية، قميصاً فضفاضة وسروال جينز، وحذاء ذا ساقين طويلتين، ووجه فتى أصابه الذهول!

هذا الفارس مجرد طفل... تباً له إنه نحيل! وطويل الساقين وهو يمتطي الحصان بدون سرج أو ركاب. هل امتطاء الخيل من دون سرج هو ما يقوم به الناس ليحصلوا على المتعة في هذا المكان من الجحيم؟

لوّح لوكاس بقبضته في الهواء، وأطلق سيلاً من الشتائم باللغة الإسبانية، فضحك الفتى.

ازداد الغضب في أعماق لوكاس. لو أن هذه السيارة اللعينة قادرة على التحرك، لقفز إلى داخلها، وانطلق بها مطارداً الحصان. فيسحب ذلك الأحمق عن ظهره، ويعلمه درساً لن ينساه!

اندفعت نفخة من الريح من مكان ما، طغى غبارها على الغبار الذي أثارته قوائم الحصان، وعندما استقر الغبار، كان الحصان والفارس قد اختفيا عن الأنظار.

- لوكاس؟ هل أنت بخير؟

رمى لوكاس نظره باتجاه السيارة. الاصطدام الذي كاد يحدث شد انتباه ديليا على الأقل.

قال بصوت غاضب: «إنني بخير».

- يا له من حيوان مخيف! اعتقدت أنه قتلك.

نفض لوكاس الغبار عن سرواله، وقال بضيق: «لا بد أنك رحت تتساءلين كيف ستتمكنين من الخروج من هنا بحق السماء».

- أنت في مزاج مريع اليوم، لوكاس. قلقت عليك حقاً! ربما تساءلت...

فجأة اتسعت عينا ديليا، وراحت تضحك بصوت مرتفع.

- هل تجدين ما يحدث مسلياً؟

- لا. لكن هناك شيء ما في شعرك.

مدّ يده إلى رأسه، وأطبق بأصابعه على أعشاب يابسة عالقة في شعره، فرماها جانباً.

- يسعدني أنني مصدر تسلية لك.

- لا تكن كثير التذمر.

وضعت ديليا يديها على وركيها وتابعت: «لا يمكنك إلقاء اللوم عليّ...».

قال بنبرة صوت سطحية وهو يسير نحوها: «لا! أنا ألوم نفسي على هذا الوضع الذي نحن فيه ديليا، ولست ألومك أنت».

أشرق وجه ديليا وعلقت: «يسعدني أنك تفهم ذلك».

دخل لوكاس إلى السيارة ليحضر قبعته، ثم ربت على فخذه.

- ضعي قدمك هنا.

ضحكت ديليا بغنج ودلال، وقالت: «لوكاس.. أتعتقد حقاً أن المكان مناسب؟..».

كرر بنفاد صبر: «قدمك!».

ابتسمت المرأة، واتكأت على باب السيارة، ثم رفعت رجلها ووضعت قدمها على فخذه. أطلق لوكاس زفرة، ثم أمسك قدمها بيديه وكسر كعب حذائها، فسحبت ديليا رجلها بسرعة إلى الوراء.

- هاي! ما الذي تفعله؟ ألديك فكرة كم دفعت ثمن هذا الحذاء؟

قال بفظاظة: «لا! لكنني سأعرف، ما إن تصلني الفاتورة هذا الشهر».

التقت نظرته بنظراتها المستاءة وهو يتابع: «أم أنك ستقولين لي إنني لم أدفع ثمن هذا الزي السخيف الذي ترتدينه؟».

- السخيف؟ عليَّ أن أعلمك..

انحنى لوكاس إلى الأرض، وأمسك بقدمها الأخرى ثم نزع الكعب من ذلك الحذاء أيضاً.

- الآن أصبحت قادرة على السير.

رفعت صوتها قائلة: «السير؟ إلى أين؟ لن أسير إلى أي مكان في هذه الحرارة، وعلى هذا الطريق. هناك أفاعي وخيول برية يمتطيها أشخاص مجانين في كل مكان... لوكاس! لوكاس، إلى أين تذهب؟».

لم يجب لوكاس، وبعد لحظة أخذت تهرول حتى أصبحت بجانبه.

تمتمت: «أكره هذا المكان، لا تأخذني أبداً إلى تكساس مرة ثانية».

فكر لوكاس بانزعاج أنه لن يأخذها أبداً إلى أي مكان مرة ثانية، وهذا أمر آخر يتفقان عليه معاً.

بعد مرور عشرين دقيقة وأكثر من ألف تذمر، سمع صوت محرك، وظهرت شاحنة حمراء اللون في الأفق.

قالت ديليا بطريقة مسرحية: «الحمد لله!».

وجلست على حافة الطريق، فيما قفز لوكاس ليقف في طريق الشاحنة. عليه أن يوقف هذا السائق، بطريقة أو بأخرى. السير في هذه الحرارة نحو المجهول أمر سيء بما فيه الكفاية، فما بالك إن كان عليه أن يمضي الوقت وهو يصغي إلى تذمر ديليا وتأففها؟

خففت الشاحنة من سرعتها، وما لبثت أن توقفت. فُتح باب السائق وقفز منها فتى إلى الخارج، وشعر لوكاس بضغط دمه يرتفع. هل هو ذلك الفتى نفسه الذي كاد يقتله تحت حوافر حصانه؟

لا! ليس هو.

بدا الفارس نحيل القوام، ذا عينين سوداوين كبيرتين وشعره الأسود يتساقط على جبهته من تحت قبعته. بينما هذا الصبي أحمر الشعر، قصير القامة ممتلىء الجسم.

- مرحباً!

الكلمات المكتوبة على باب الشاحنة تشير إلى المزرعة الكبرى. لا بد أن تلك المزرعة مفلسة، نظراً إلى حالة الشاحنة القديمة.

- سمعت أنك وصديقتك بحاجة إلى من يوصلكما.

قال لوكاس بضيق: «ممن سمعت ذلك الكلام بالتحديد؟ أهو فتى يمتطي حصاناً جامحاً؟».

ضحك الصبي وقال: «هذا أمر مضحك، سيدي».

قال لوكاس بصوت منخفض لكنه يحمل خطورة كافية في ثناياه: «كل شيء هنا مضحك».

- لم أقصد ذلك، قصدت فقط...

قالت ديليا بحدة: «حباً بالله! هل يمكنك التحلي ببعض الهدوء لوكاس؟ بالطبع نحن بحاجة إلى من يقلنا».

رمت الشاحنة بنظرة سريعة، وتابعت: «لكن، ليس في هذه... هذه الشاحنة».

نظر الصبي إلى ديليا كأنه لم يرَ في حياته كلها شيئاً شبيهاً بها، ففكر لوكاس بانزعاج أن هذا أمر لا مجال للشك فيه.

- اصعدي إلى الشاحنة، ديليا.

شخرت ديليا قائلة: «لن أصعد إلى تلك...».

تلفظ لوكاس بشتيمة من بين أسنانه، ورفعها إلى الداخل كأنها كيس من الشوفان. صرخت بصوت أقرب إلى العواء ما إن وضعها بدون رحمة على مقعد الشاحنة.

- بكل صدق، لوكاس...

قاطعها ببرودة: «بكل صدق ديليا، ما إن نصل إلى أقرب هاتف، حتى أطلب لك سيارة لتقلك إلى المطار».

- هل سنعود إلى المدينة؟

- أنت ستعودين... فقط أنت.

فتحت ديليا فمها، وهكذا فعل الصبي الذي تسلق الشاحنة وجلس وراء المقود. حدق لوكاس بهما بغضب ما إن صعد إلى الشاحنة وأغلق الباب.

قال للصبي: «فقط.. قُد الشاحنة».

اشتعلت عينا ديليا بالغضب لكنها لم تجادله، وبدا الصبي ذكياً بما فيه

www.elromancia.com

الكفاية، كي لا يتلفظ بأية كلمة. بعد قليل، ابتلع غصة في حلقه، وتمتم: «أمرك، سيدي».

ثم أدار المحرك، وانطلق.

بعد مرور ساعتين، شعر لوكاس أنه أفضل حالاً.

أخيراً وصل إلى المزرعة الكبرى، وتبين له بدون أي شك أن الاسم خيار سيء لها، لكنه عالق هنا بانتظار ظهور المالك الذي قطع هذه المسافة الطويلة لرؤيته. هناك موعد بينهما، لكن من الواضح أن المواعيد هي مصدر آخر للتسلية في هذا الجزء من تكساس.

رحلت ديليا على الأقل. وهذا أمر يدعو إلى الارتياح. حاول الاتصال بسيارة أجرة أو سيارة ليموزين، لكن الصبي ورجلاً عجوزاً، عرف عن نفسه بأنه كبير العمال هنا، نظرا إليه وكأنه مجنون.

قال كبير العمال: «لا يمكن الحصول على شيء مماثل هنا».

طرفت ديليا برموشها وقالت: «أعتقد أن عليك إبقائي هنا معك».

على الرغم من نعومة نبرة صوتها، إلا أنها لم تستطع إخفاء الابتسامة الماكرة التي ظهرت على شفتيها.

بعد أن أعلمته شركة تأجير السيارات أنهما لا يستطيعان الحصول على بديل لسيارته قبل صباح اليوم التالي، يكفيه أنه مجبر على البقاء هنا طوال الليل، وهو لن يمضيه محاولاً تجنب ديليا.

أعطى الصبي صاحب الشاحنة مبلغاً من المال جعل عيناه تتسعان، وطلب منه العودة إلى السيارة لإحضار حقائبها، ثم إيصالها إلى المطار. بعد ذلك غطى أذنيه بيديه كي لا يسمع ما تتمناه له ديليا، ثم راقب الشاحنة وهي تسير مبتعدة.

راقب كبير العمال رحيلهما أيضاً، ثم قال له بصوت هادىء: «لا بد أنها رحلة مثيرة للاهتمام بالنسبة إلى السيدة».

أجاب لوكاس: «بل هي مثيرة للاهتمام لهما معاً».

فابتسم الرجل العجوز. عندئذٍ سأله لوكاس السؤال الذي يساوي مليون دولار: «أين هو لوسيوس ماكدونوف؟».

بدا له كأنه يسأله عن الإله، نظراً لردة فعل كبير العمال واتساع عينيه.

- هل أتيت إلى هنا لرؤية السيد ماكدونوف؟

فكر لوكاس، لا! أتيت لرؤية المناظر الطبيعية. وبدلاً من قول ذلك، ابتسم بتهذيب، أو بقدر ما يستطيع من التهذيب قائلاً: «أجل، فهو يتوقع زيارتي».

أجاب الرجل: «إن كان هذا ما تقوله».

ثم بصق على الأرض قطعة من التبغ، وتابع: «حسناً! هناك شيء واحد أستطيع قوله وهو أن عليك البقاء هنا حتى حلول المساء».

- هل سيعود السيد ماك دونوف في ذلك الوقت؟

رفع كبير العمال كتفيه، وقال: «انتظر فقط حتى المساء، هذا ما أقوله لك. لدينا غرفة للضيوف يمكنك البقاء فيها، إن رغبت بذلك».

- أنا واثق أنها مناسبة تماماً.

رافق كبير العمال لوكاس إلى المنزل. عبرا غرفاً رثة، لكنها نظيفة حتى وصلا إلى غرفة في داخلها سرير ضيق، وفيها نافذة تطل على منظر يمتد نحو الأفق إلى ما لا نهاية.

- إذا أردت شيئاً، فقط نادني.

أجاب لوكاس: «سأكون بخير».

ثم ضاقت عيناه وتابع: «أود أن أسألك، هل هناك فتى نحيل يعمل هنا؟».

حول الرجل العجوز قطعة التبغ الذي كان يمضغها من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن في فمه.

- ألم ترَ للتو دايفي؟

- لا أقصده هو بسؤالي، بل صبي سواه. فتى يمتطي حصاناً أسود اللون، ويبدو أنه لا يهتم لأي شخص آخر سوى نفسه.

أجابه كبير العمال أنه هو ودايفي العاملان الوحيدان هنا.

ثم ضحك على نحو متقطع كأنه بطة تتعرض لملاحقة الأولاد. استمر لوكاس بسماع صوت ضحكته حتى بعد أن غادر الغرفة.

تنهد لوكاس، وهو يقف على الشرفة، من يعلم ما الذي يدعو إلى المرح في

www.elromancia.com

هذا المكان المنعزل؟ على أي حال، لمَ يشغل باله بالأمر؟ في مثل هذا الوقت من يوم غد، سيكون في طريق عودته إلى بلاده. هذا إذا ظهر لوسيوس ماكدونوف. أين هو بحق السماء؟ وأين هي الفرس الذي قدم لأجلها؟ في الحقيقة، ساوره الشك بأن يجد هنا أي نوع من الخيول. فالزرائب فارغة، والمباني الخارجية تبدو في وضع سيء جداً، أما النسيم الذي لفحه للتو فقد...

ما هذا؟

أمال لوكاس رأسه، فاستطاع سماع صوت قادم مع الريح. إنه صوت حصان... بالطبع، صهيل خفيف، لكنه قادم من بعيد. ربما عاد ماكدونوف.

كلما انتهى من هذا اللقاء بسرعة، كلما كان ذلك أفضل له. آملاً أن يكون الوقت الذي سيرى فيه الفرس قد اقترب، قفز لوكاس عن الشرفة وسار بانزعاج نحو المباني الخارجية، وسرعان ما أدرك أنه محق بشأن حالتها. تبين له أن المبنى الأول هو مكان للتخزين، وهو على حافة الانهيار، أما المستودع الملاصق له، فهو ليس بحالة أفضل. وجد أن المبنى الثالث، وهو الاصطبل، في حالة أفضل من المبنيين السابقين لكنه بحاجة إلى طلاء، كما أن بعض الألواح الخشبية ليست في أمكنتها، وهي بحاجة إلى مسامير ومطرقة ليعاد تثبيتها. عندما أدخل رأسه من الباب المفتوح، رأى مؤشرات تدل على فارس يعرف جيداً كيفية الاعتناء بالخيول. فالأرض نظيفة، والمربطان الفارغان إلى يساره نظيفان جداً. وهناك كومة من الدلاء مرتبة قرب خرطوم المياه، وعلى مسافة بعيدة منها هناك كومة من القش.

ها هو يسمع من جديد صهيل الخيل الناعم، لم يعد لديه أي شك في وجود حيوان هنا.

إنها الفرس، التي جاء من أجلها، كما يأمل لوكاس... ها قد حُلَّ اللغز أخيراً!

تردد لوكاس في الدخول، إذ على الرجل أن ينتظر حتى يطلب منه الدخول إلى ممتلكات الآخرين، وما لبث أن قطب جبينه. لتذهب الأعراف إلى الجحيم، فهي أيضاً تقضي بأن يكون ماكدونوف هنا ليستقبل زواره.

محاذراً أن يسبب الاجفال للفرس، خطى لوكاس بهدوء إلى داخل الاصطبل. مرّ أمام صف من المرابط الفارغة، ثم رأى ذيلاً، ومؤخرة حصان. تباً! هذا ليس فرساً. إنه مجرد حصان... حصان أسود.

تراجع خطوة إلى الوراء، وسمع صرير لوح خشبي تحت قدميه، فشخر الحصان، وتحرك، ثم سمع لوكاس رنين معدن. لا بد أن اللجام ما زال على رأس الحصان.

ثم سمع صوتاً يقول بنعومة: «مهلك.. مهلك يا بيبي!».

بيبي؟ ما هذه الطريقة الغريبة في التحدث إلى حصان، لم يسمع يوماً فارساً يتكلم مع حصانه بمثل هذه الكلمة. لكن الصوت حقيقي.. إنه صوت أجش، لصبي يافع.

شدّ لوكاس على قبضتيه، وسار بخطى واسعة وسريعة إلى الاصطبل. شعر الحصان بحضوره قبل الصبي الذي يقف بجواره، فصهل محذراً.

فكر لوكاس باشمئزاز، ها قد وجدتهما: الخيّال والوحش اللذين أوقعاه عن الطريق.

رأى الفتى يقف في آخر الاصطبل، ممسكاً بلجام الحصان بيد، وهو يمرر يده الأخرى على أذنيه، متحدثاً بصوت ناعم إلى المخلوق المخيف، غافلاً عما يجري.

زمجر لوكاس: «يا لها من صورة ساحرة!».

وأطبق بيده الكبيرة الصلبة فوق يد الفتى.

قال الفتى بسخط: «هاي!».

- هاي، بالطبع!

قال لوكاس ذلك برضى، وأدار الفتى ليواجهه.

إنه هو، بالتأكيد، بقبعته الرياضية القديمة، وقميصه القصيرة الكمين ذات الألوان الداكنة، وسرواله القذر وحذائه الأكثر قذارة.

لكن، ما إن ارتفعت القبعة عن رأس الفتى، حتى فغر لوكاس فمه بدهشة.

لم يكن الفارس صبياً.. إنها امرأة.

٢ - امرأة من نار

امرأة؟!! ربما لا . . . ربما مجرد طفلة مراهقة. فمن الصعب معرفة ذلك.

بدا وجهها ملطخاً بالغبار، فهناك لطخة فوق أعلى خدها، ولطخة أخرى على رأس أنفها. أما شعرها فمربوط في ظفيرة طويلة وكثيفة بلون الحبر الأسود، تدلت على كتفها وصدرها.

جال لوكاس بنظره حيث تصل الظفيرة، وأدرك أنها بدون شك امرأة بالغة. فقميصها المبللة بالعرق، تلتصق بجسدها، ويظهر القماش القطني المبلل استدارة صدرها.

سرعان ما شعر بتأثيرها عليه، وزاد ذلك من شدة غضبه. هذه المرأة أوقعته على الأرض، ثم ضحكت منه، والآن ها هو يستجيب في ردة فعل بدائية لأنوثتها.

سمع شهقة قوية وهي تلتقط أنفاسها، فما كان منه إلا أن أمسك بفكها، وأسكت صراخها حتى قبل أن يبدأ.

قال بسخط: «لا تفعلي أي شيء تندمين عليه في ما بعد».

حدقت إليه المرأة بعينين شرستين، إلا أنه بقي ممسكاً بها للحظة طويلة، مستمتعاً بكل ما يجري قبل أن يتكلم.

- لا تقولي لي إنك لم تعرفيني، عزيزتي.

بالكاد ابتسم وهو يتابع: «يزعجني أن أفكر أن لقاءنا ليس ذكرى لا تنسى بالنسبة لك كما هو بالنسبة لي».

لمع شيء ما في أعماق هاتين العينين الزرقاوين الرائعتي الجمال. إنها تتذكره، بدون أدنى شك، لكن، هذه المرة هو من يضحك، وهي في خطر. أدرك لوكاس

ذلك من الخوف الذي رآه في عينيها.

حسناً! يمكن للمرأة أن تظهر بعض الخوف عندما تلتقي برجل كاد حصانها يدوسه تحت حوافره.

شخر الحصان الكبير، وبالرغم من ضخامة حجمه، قام بالتحرك بخفة فوق حوافره، نقل لوكاس قبضته إلى ذراع المرأة، وشدها نحوه. أما هي فلم تجعل حركته سهلة، ذلك أن جسمها الأنثوي النحيل، قوي العضلات بشكل مثير للدهشة. بدا ذلك واضحاً عندما صمدت بعناد في مكانها. لكن مع ذلك لا مجال للمقارنة بينها وبين لوكاس، سواء بالحجم أو بالوزن أو حتى بغضبه المتقد. بعد مرور لحظات كان قد احتجزها ما بينه وبين الجدار.

- ما جرى مجرد حادث.

- آه! أنت حقاً تتذكرينني بعد كل ما حدث.

- كنت تقف في وسط الطريق.

- وهل القانون في تكساس يحظر الوقوف في الطريق؟

حاولت السيطرة على مخاوفها، أو إخفاءها على الأقل، فكر لوكاس أنها حقاً تفعل ذلك بنجاح واضح، فثبات صوتها قد يخدعه لو لم يرَ تسارع النبض في عنقها.

- القانون يمنع انتهاك حرمة الأملاك الخاصة.

- تلك الطريق ليست أملاكاً خاصة، أما هنا. . . ما الذي حدث لحسن الضيافة في جنوب غربي الولايات المتحدة؟ أنا أقوم بزيارة، ومن المؤكد أن هذا أمر يُسمح به في تكساس.

- حسناً! لقد أظهرت وجهة نظرك، والآن قدم لنفسك خدمة وارحل قبل. . .

- قبل ماذا؟

أدار لوكاس رأسه نحو الحصان وتابع: «قبل أن تمتطي ظهر ذلك الوحش وتحاولي رميي على الأرض من جديد؟».

قالت ببرودة: «لم أحاول أن أرميك على الأرض، لو أنني فعلت ذلك لما كنت

هنا الآن تتصرف بحماقة».

علق بنعومة: «يا لك من امرأة شجاعة!».

- ما الذي تريده؟

- ماذا؟ ما الذي تظنينه؟

مدّ يده ومرر أصابعه ببطء على عنقها، فزفرت مبتعدة عنه كأنها فرس غاضبة من لمسته. تابع يقول: «فقط التحدث قليلاً».

عاد ميزان القوى بينهما إلى مكانه السابق، ولاح الغضب في عينيها مجدداً.

- إن كنت تعتقد أنني وحيدة هنا...

- بالطبع أنت لست وحيدة.

تعمد أن يأتي صوته ناعماً، وأن تحمل نبرته تنازلاً وهو يتابع: «هناك رجل عجوز في المنزل بإمكانه بدون شك مساعدتك لو كان أصغر بثلاثين عاماً، وهناك أيضاً صبي... حسناً! كان هناك صبي».

شحب وجهها وقالت: «ما الذي فعلته بدايفي؟».

رفعت المرأة ذقنها، وبدت مستعدة للهجوم وللدفاع، على الرغم من خوفها، فكر لوكاس أن عليه الاعتراف بقدرتها تلك.

- أرسلته في مهمة.

- إلى أين؟

قال بغضب: «تباً! الصبي بخير، وأنا غير مهتم بالتحدث عنه الآن».

شد بقوة أكبر على رسغها وتابع: «إنني أتحدث عنك، سنيوريتا، كدت أن تقتليني».

- لكنني لم أفعل، وهذا هو المهم. أنا وبيبي لم نؤذِ شعرة في رأسك.

علق بسخرية: «بيبي! يا له من اسم ساحر لهذا الوحش».

- لو لم تكن تقف في وسط الطريق...

- لو أنك كنت مسيطرة على ذلك الوحش...

- كنت تقف في وسط الطريق، وتتحرك حاملاً آلة، بإمكان أي شخص مغفل أن يعلم أن لا مجال مطلقاً لتعمل هنا.

قال بغضب: «يبدو أن لا شيء يعمل هنا، حتى الاحترام الإنساني. لم أكن أتجول كالمغفل حاملاً هاتفي، لكن عطلاً أصاب سيارتي، أم أنك لم تلاحظيها بجانب الطريق؟».

رفعت حاجبيها بسخرية، وتابعت: «هل تسمي تلك... الوسيلة السخيفة سيارة؟».

أجاب ببرودة: «من فضلك، لا تحاولي كبح نفسك. فلا حاجة بك إلى تجميل ما ستقولينه من أجلي».

- حسناً! أنت من أوقع نفسه في هذه المشكلة، أليس كذلك؟ وتقود شيئاً كهذا للسير في المناطق النائية، متوقعاً من هاتفك النقال أن يعمل هنا.

يا إلهي! هذا أسخف شجار قام به منذ أن كان في الثامنة من عمره، يوم كان يتقاتل بشراسة مع أقرانه من أجل فريق ريال مدريد ضد فريق نادي برشلونة في كرة القدم. ما خطب هذه المرأة؟ تجادله، وتثير غضبه، وكل ما تفكر به أنه رجل مجنون أتى إلى هنا ليؤذيها. متى وكيف بحق السماء تمكنت من قلب الطاولة؟ بحق السماء! إنه هو الفريق الذي تلقى الأذى، وليس هي.

قالت: «في مطلق الأحوال، كل ما يجري الآن بعيد عن الموضوع الأساسي. أنا لم أسبب أي أذى لك، ما عدا... حسناً! ربما كبرياؤك.. أقصد، كلانا يعلم أنك انتهيت مرمياً في حفرة...».

رأى لوكاس آثار ابتسامة على وجهها. هل يمكن أن يرتفع ضغط الدم لدى الرجل إلى درجة الانفجار؟

قال معلقاً بصوت ناعم كالحرير: «وأنت تجدين الأمر مسلياً أليس كذلك؟».

- لا!

لكنها لم تستطع أن تخفي ابتسامتها بشكل كامل.

علق لوكاس بنعومة: «أتعلمين؟ قد تفكر أي امرأة ذكية باعتذار مقبول في مثل هذا الوضع».

كلامه هذا جعلها تصمت، وكاد يرى بوضوح أنها تزن خياراتها. فهي

www.elromancia.com

وحيدة مع رجل غريب، وليس هناك أي شخص تستطيع الاعتماد عليه ليساعدها. من جهة أخرى ساوره شك قوي بأن كلمة «اعتذار» ليست كلمة عادية في قاموسها.

مرت لحظة طويلة، ثم زفرت نفساً قوياً رفع خصلة من شعرها الأسود بعيداً عن جبهتها.

- صحيح. حسناً! ما كان عليَّ أن أضحك.

- أو أن تحاولي أن توقعي بي أرضاً.

- قلت لك إنني لم أحاول أن أوقعك أرضاً.

ترددت قليلاً، قبل أن تتابع: «لكن أعتقد أن ليس من التهذيب أن أجد الوضع مسلياً».

- لا شك أن هذا تفاهم العصر.

- كل ما في الأمر.. بدا المنظر مثيراً للاهتمام. وأنت ترتدي ثياباً توحي كأنك تعرف فعلاً كيف تميز مؤخرة حصان عن مؤخرة حصان آخر.

قاطعها ببرودة: «وهذا أمر مستحيل بالطبع».

- وتلك السيدة.. صديقتك، ما ترتديه بدا كأنه من مخلفات عيد البريارة؟

إن كانت تعتقد أن هذا اعتذار فباستطاعته أن يتخيل ما الذي تعتبره إهانة.

قال من بين أسنانه في محاولة بائسة وأخيرة للحصول على اليد العليا في الحوار: «السيدة صديقتي ترتدي ببساطة ما ترتديه أي امرأة جذابة وأنيقة».

- إلى حفلة تنكرية، ربما.

إنها على حق، لكنه يفضل الموت على أن يدعها تعلم ذلك.

قال: «بل لتمتطي حصاناً في سنترال بارك».

كذب من جديد وتمنى بحرارة أن تسامحه كل الخيول في إصطبل مانهاتن.

تراجع لوكاس خطوة إلى الوراء، وهو لا يزال يلف يده حول رسغها ثم رماها بنظرة طويلة ماكرة.

- لكن، ما الذي تعرفينه أنت عن المرأة التي تعيش في مكان مثل نيويورك؟

وجال بنظراته عليها بتمهل من قدميها إلى أعلى رأسها، وتابع: «أنت امرأة،

أليس كذلك عزيزتي، تحت كل هذه الثياب السخيفة؟».

بعد أن سمع نفسه فكر، يا إلهي! ما الذي يفعله؟ ما هذا الخبث، ما هذا العمل المرسوم؟ كل ما يقوله تبجح وخداع. مع ذلك، نجح في ما يخطط له، وهذا ما أدهشه.

رمشت المرأة بعينيها رمشة واحدة، وهذا كل شيء، لكنه كاف ليعلمه أنها تذكرت فجأة أنها في وضع لا تسيطر عليه. قالت بصوت هادىء، لكنه يخفي خوفاً مستتراً: «حسناً! لقد اعتذرت. والآن اترك يدي، ثم قل وداعاً وارحل من هنا».

أجاب بنعومة: «غداً».

- غداً... لماذا؟

- سأغادر غداً عندما ترسل لي وكالة تأجير السيارة سيارة بديلة عن تلك.

- لن تمضي الليلة في هذه المزرعة.

- بطريقة ما، أشك في أن يكون القرار في هذا الأمر عائد إليك.

شخر الحصان ورفس رفسة قوية.

قالت المرأة: «بيبي يشعر بالانزعاج».

- وأنا أيضاً.

- بإمكانه أن يكون خطيراً جداً، لا سيما إن ظن أنني بحاجة إلى حماية.

- أؤكد لك، عزيزتي، أن بإمكاني أن أكون أكثر خطورة من ذلك الحصان.

ترك كلامه الناعم معلقاً في الهواء، وراقب برضى مدى تأثرها بما سمعته.

أخيراً تنفست بعمق، وقالت: «مهما كان ما تفكر به...».

قاطعها وهو يبتسم: «أشك بأنني أفكر بذات الأفكار التي تراودك».

كاد يجزم أنها في مناظرة مخيفة مع نفسها. جزء منها يريد أن يبصق في وجهه، لكن الجزء الآخر، الجزء الأكثر حكمة، يذكرها أنها ليست في وضع جيد.

أخيراً قالت: «اسمع! لم أحاول أن أرميك أرضاً عن تخطيط مسبق. بيبي سريع، وأنا كنت منحنية فوق رأسه، أتحدث إليه».

- ماذا؟

www.elromancia.com

- إنه حصان جامح، وهو يصغي إلي عندما أحاول تهدئته. الخيول تتجاوب مع أصوات الناس.

- بل تتجاوب بطريقة أفضل مع الفرسان الذين يستطيعون السيطرة عليها.

- وما الذي تعرفه أنت عن الخيول؟

ضحك لوكاس وعلق: «ربما القليل».

- أحقاً؟

وقفت تحدق به، وهي تقرع الأرض الخشبية بقدمها، فعلم أن الجزء الأكثر حكمة في داخلها قد خسر الجدال. تابعت: «حسناً! ما هذا القليل الذي تعرفه؟».

- أعرف أن هذه الأرض التي تسمى مزرعة هي في أواخر أيامها.

غادر اللون وجهها وقالت: «أحقاً؟».

رد ببرودة: «ذلك هو السبب الذي طُلب مني القدوم إلى هنا لأجله».

اتسعت عيناها: «ما الذي تقصده بقولك: طُلب منك القدوم إلى هنا؟ من طلب منك ذلك؟».

- المالك. قيل لي إن هناك فرساً جيدة من أجل استيلاد الماشية لدي.

نظرت إليه وكأنه فقد عقله. وللحظة، وجد أن من الصعب عليه أن يلومها.

تابع مفسراً لها: «من أجل خيولي الأندلسية، الإسبانية المولد».

أصبحت نظرته قاسية وهو يتابع: «لكن لا وجود لفرس هنا، ليس هناك أي أثر للماشية، باستثناء ذلك الحيوان البشع الذي تسمينه حصاناً، أم أنك تريدين التظاهر أنني مخطىء بشأن ذلك أيضاً؟».

رطبت المرأة شفتيها بتمريرة سريعة للسانها فوقهما، فوجد نفسه يتبع تلك الحركة البسيطة بتركيز كبير، من دون أن يعرف السبب. إنها امرأة من نار ولديها روح قوية، لكنها ليست من النوع الذي يثير اهتمامه. التقى لوكاس نساء مثلها طوال حياته، فهن دائماً موجودات في المزارع، وفي استعراضات الخيول، وكل ما يثير اهتمامهن هو الخيول. كما أنهن يرتدين ثياباً كالرجال، ويمتطين الخيل كالرجال أيضاً. هؤلاء النساء لا يثرن اهتمام لوكاس على الإطلاق، فهو يعلم

بالتحديد أي نوع من النساء يريد. النساء اللواتي يحبهن رائحتهن عطرة، شعرهن يفوح بالعبير أيضاً لا بالقش، وهن يبتسمن ويتحدثن بنعومة، ولا يحملقنَّ فيه ويتحدثن بألسنة لاذعة. وهو يحب أن يراهن وهن يستخدمن أساليباً أنثوية لا شجاعة مقنعة للتأثير فيه.

افترض أن البعض يظن أن هذه المرأة تملك وجهاً جميلاً، بغض النظر عن الغبار واللطخات التي تملؤه. وبالطبع هي تملك شعراً ذا لون أسود غير عادي، إنه كجناح الغراب، ولا شك أنه سيبدو كثيفاً وناعماً كالحرير إذا ما أفلتته من هذه الظفيرة المزعجة. وسوف يبدو لامعاً متموجاً. بإمكانه أن يعترف أيضاً أن شكلها لا بأس به أيضاً. فهي ذات قامة رشيقة وخصر نحيل وساقان طويلتان...

- من أنت؟

أعاده صوتها إلى الواقع، فقال: «ماذا؟».

- سألتك ما اسمك؟

عادت تلك النبرة الآمرة إلى صوتها، وهذا ما أغضبه وجعله يشد كتفيه لتبدو قامته فارعة الطول. أجاب ببرودة وكبرياء رجل لم يجد نفسه يوماً مضطراً إلى التعريف عن نفسه: «أنا لوكاس ريز».

ولدهشته، شحب وجهها فجأة. لقد سمعت به إذاً؟ ساوره شعور بالرضى جراء ذلك.

- لا، لا يمكن أن تكون أنت!

- أؤكد لك سنيوريتا، أنني لوكاس ريز.

- لوكاس ريز؟ الأمير لوكاس ريز؟ من مزارع ريز في إسبانيا؟

هل سيجعلها طبعها الحاد واستهتارها ترمي بنفسها عند قدميه؟ أحياناً تفعل النساء ذلك، وإن لم يكن بالمعنى الحرفي للكلمة.

إمكانية أن تتحول إلى امرأة عادية زاد من غضبه لسبب يجهله، غضب كافٍ ليرد باحتقار: «أنا مالك مزارع ريز».

هزت المرأة رأسها: «ليس من المفترض أن تكون هنا».

همس وقد شبك ذراعيه فوق صدره: «أحقاً؟».

- بعثت رسالة...

- أنت بعثت رسالة؟

- أقصد، رسالة بالبريد الإلكتروني. إلى الأمير فليكس ريبز، والدك.

- جدي! وماذا تقول تلك الرسالة.

- تقول... لا تأتِ إلى هنا.

رد لوكاس بعصبية: «لو كانت هناك رسالة، فلا جدي ولا أنا سمعنا بها. لذلك أنا هنا كما كان مخططاً. وربما توافقيني الرأي الآن، أنه من المحتمل أن... ما كانت جملتك الرائعة؟ أنني قد أستطيع التمييز بين مؤخرة حصان ومؤخرة حصان آخر».

رفعت المرأة كتفيها، وقالت: «زيارتك لا جدوى منها، عليك أن تغادر».

- هل تصدرين الأوامر لي، سنيوريتا.

- فقط، ارحل! هذا كل شيء.

تفحصتها نظراته ببطء: «ما الذي تفعلينه هنا؟ هل أنت الطاهية؟ أم الخادمة؟ أم تنظفين الاصطبل؟».

- أفعل هذه الأشياء كلها.

لوى لوكاس شفتيه وتابع بسخرية: «أتدفئين سرير ماكدونوف أيضاً؟».

بالكاد بدت حركة يدها في ذلك الضوء الخافت، لكن لوكاس تمكن من الإمساك بها قبل أن تصفعه. أدارها إلى ما وراء ظهرها، وأجبرها أن تنحني حتى قدميها. رفعت نظرها إليه وحدقت به بعينين داكنتين تحولتا تقريباً إلى اللون الأسود.

- ما الأمر، عزيزتي؟ هل أصبت الحقيقة؟

- لا يمكنك أن تتحدث إلي بهذه الطريقة! ليس في أميركا. نحن لا نهتم مطلقاً للألقاب التافهة هنا، ولا لأمراء لم يعرقوا يوماً من أجل الحصول على راتب، أو لرجال لا يعرفون كيف يكونون رجالاً إن اعتمدت حياتهم على ذلك.

قال بهدوء: «انتبهي لما تقولينه».

بإمكانه أن يرى كيف يتصارع في داخلها الحذر والهجوم، وأدرك على الفور ما اختارته قبل أن تفعل.

- أوه... ! ما الذي ستفعله أيها الأمير العظيم؟ هل ستضربني بالعصا؟

لم يعرف لوكاس ما الذي استفزه أكثر، نبرتها الوقحة وقلة احترامها، أم كلماتها المهينة، أم مجرد ذكر ذلك العقاب القديم، أو ربما رفضها البسيط له كرجل؟

قال بصوت أجش: «ولِمَ عليَّ أن أفعل ذلك في حين أن هناك أشياء أفضل بكثير للقيام بها مع امرأة؟».

شدها إلى ذراعيه وعانقها، قاطعاً الطريق على المزيد من التهجم من قبلها. راحت تقاومه بيديها، بأسنانها، بركبتيها. قاومت بقوة، لكن لوكاس مرر أصابعه في شعرها وأمال رأسها إلى الوراء، ثم عانقها من جديد، وبقوة أكبر هذه المرة.

مدت يديها وراحت تضرب كتفيه براحتيهما، حاولت أن تمزق عينيه بإبهاميها. ابتعد قليلاً عنها، ثم دفعها إلى جانب الاصطبل وعاد يعانقها من جديد.

شعر بعناقها حاراً، مليئاً بالغضب وبالأرض الجرداء التي تعيش فيها. شعر برحيق الزهور البرية التي تتفتح للحياة في أرض قاحلة بعد هطول أمطار صيفية. تنشق رائحتها، أيضاً. لم تكن رائحة الحصان، كما توقع، أو رائحة الجلد، بل رائحة الزهور. بدت حلوة، دافئة، وبطريقة ما.. رقيقة وبريئة أيضاً.

حتى وهي تقاومه، أحس بها رقيقة بين ذراعيه، بشكل لا يصدق. أحس بنعومة بشرتها الحريرية، وبهشاشة جسمها النحيل. شدها إليه أكثر، وخفف ضغط عناقه. سمع آهة مخنوقة تخرج من صدرها.

رفعت جسمها، ووضعت يديها على صدره، ثم همست: «لا تفعل!».

قال بصوت عميق: «آه... عزيزتي! عانقيني، تماماً مثلما...».

في تلك اللحظة فتح باب الاصطبل، فتوترت المرأة بين ذراعيه.

- مرحباً! هل من أحد هنا؟

كان ذلك كبير العمال. حاول لوكاس أن يشد المرأة نحو الظل، لكنها هزت رأسها محاولة التملص منه.

همس لوكاس: «لا تصغي إليه! لا تجيبي!».

سُمع صوت وقع قدمين، ثم علا صوت الرجل ثانية: «هاي! من هناك؟».

رفعت يديها، لتضرب صدر لوكاس، وهي تهمس: «دعني».

- ليس هذا ما كنت تريدينه منذ دقيقة فقط.

- بالطبع هذا ما أريده.

ارتفع صوتها هذه المرة، فوضع لوكاس يده على فمها. وما هي إلا لحظة حتى أبعد يده بسرعة وقد شعر بالألم بعد أن عضت يده بأسنانها الحادة. مدّ يده الأخرى إلى جيبه بحثاً عن منديل ليضعه على مكان الجرح. نظر إلى قطرات الدم الحمراء التي لطخت القماش الأبيض الناعم، ثم نظر إليها.

قال ببرودة: «أنت طائشة مع الرجال تماماً كما أنت مع الخيول، وهذا تصرف خطر بالنسبة إلى المرأة، عزيزتي».

حدقت به بعينين لامعتين، وقالت: «كنت محقاً عندما قلت إن ليس هناك ما تحتاج إليه هنا. قدم لنفسك خدمة يا سمو الأمير، وعد إلى العالم الذي تعرفه جيداً».

- يسعدني ذلك. هذا ما سأفعله ما إن ألتقي برئيسك.

- لن يحدث ذلك.

- كل ما أرغب بحدوثه سيحدث.

وتابع بقسوة: «كلما فهمت ذلك بطريقة أسرع، كلما كان ذلك أفضل».

فكر أنها ستجيبه، لكن يبدو أنها فهمت أخيراً أن المجادلة معه لا جدوى منها، لأنها بدلاً عن ذلك، سحبت مفتاحاً من جيبها ورمته إليه.

- هناك شاحنة خلف الاصطبل. إنها قديمة وغير مجهزة، ولن تعجبك أبداً، لكنها ستوصلك إلى دالاس.

ترك لوكاس المفتاح يسقط عند قدميه.

- هل أخبرك ما أنت بحاجة إليه، سنيوريتا؟ أم... من الأفضل، أن أدعك

ترين بنفسك؟

دمدم كبير العمال: «حسناً! أياً كنت أنت في الداخل، من الأفضل أن تظهر نفسك».

حدقت المرأة للمرة الأخيرة بعيني لوكاس، ثم استدارت على عقبيها وسارت مبتعدة.

سمعها تقول بنبرة مبتهجة: «جورج، لِمَ لا نذهب إلى المكتب لنراجع البيان الذي حضّرته البارحة؟».

خفت صوتها، لكن غضب لوكاس لم يخفت مطلقاً. أتعتقد حقاً أنه سينكفىء على ذاته ويهرب؟ سيحتاج الآن إلى إعصار في تكساس ليتحرك قيد أنملة.

أتى إلى هنا لمقابلة لوسيوس ماكدونوف، وهذا ما سيفعله.. هو مدين بذلك لجده. أما ما يدين به لهذه المرأة، فتتوّ في عضلة كفه. وهو سوف يتعامل معها أيضاً بما هو مناسب. هي لا تعرف كيف تمسك حصاناً أو كيف تتعامل مع زبون هام، وإن كانت هناك فعلاً فرس تستحق الشراء في هذا المكان المهجور، فمن المؤكد تماماً أنها لا تعرف كيف تتعامل مع رجل.

ربما ماكدونوف يعجبه أن تتلاعب به. أما لوكاس فلا يعجبه ذلك مطلقاً.

يجب أن يعرف ماكدونوف بما جرى هنا اليوم، ليدرك عدم وفاء المرأة ووقاحتها، وألعابها المثيرة الاستفزازية.

غادر لوكاس الاصطبل بخطى واسعة.

إن كان هناك من سيرمى خارجاً من هذه المنطقة الباتسة، فمن المؤكد أنه لن يكون هو.

٣ - أين الفرس؟

في وقت متأخر من بعد الظهر، فتح لوكاس نافذة غرفة الضيوف آملاً أن يشعر ببعض الهواء الرطب. لم يكن هناك أي أثر للهواء، لكن رائحة المطر تعبق في الأجواء، مع أن المطر لن يهطل بالسرعة المنشودة. بدت غرفة الضيوف ضيقة وحارة. وقد وضعت مروحة كهربائية قديمة فوق خزانة للأدراج مصنوعة من خشب السنديان، إلا أن دورانها البطيء لم يجدِ نفعاً في التخفيف من حرارة الغرفة. لو أن الظروف عادية، لما احتمل لوكاس البقاء في الداخل لساعات، لكن هذه ليست ظروفاً عادية. إنه محجوز هنا تماماً، وهذا كله بسبب وعد قطعه لجده. بعد لقائه بتلك المرأة عاد مباشرة عبر الباب الأمامي، وصعد الدرج إلى هذه الغرفة من دون أن يرى أحداً، لذا هو يشعر أنه بمفرده في هذا المنزل. لكن أين هو لوسيوس ماكدونوف، بحق السماء؟

إنه عالق هنا حتى الغد، إلى أن ترسل له وكالة تأجير السيارات بديلاً عن سيارته. ربما لم يكن من الذكاء أن يتجاهل مفتاح السيارة الذي رمته المرأة له في الاصطبل. ربما من الأفضل أن يعود إلى هناك ويبحث عنه. أو.. ربما عليه البحث عنها. زفر لوكاس بضيق، فهو لن يقوم بأي من ذلك. سوف يعود إلى بلاده ليخبر جده أن ماكدونوف خجول جداً، حتى إنه لم يظهر أمامه ليعترف أن ليس لديه أي فرس للبيع.

دوى الرعد من بعيد ولمع البرق في السماء السوداء، فبدأت العاصفة بسرعة، محولة النهار إلى ليل.

شعر لوكاس بمعدته تئن، فهو لم يتناول الطعام منذ الصباح الباكر. لا بد أن أصول الضيافة لها معنى مختلف كلياً في المزرعة الكبرى. أولاً، كادت إحدى

العاملات في المزرعة أن تقتله تحت حوافر الحصان؛ ثانياً، لم يظهر ماكدونوف على الموعد. ولمّا كان هذان الحدثان غير كافيين للتخلص من ضيف غير مرغوب فيه، ها هم يحاولون تجويعه أيضاً.

عقد لوكاس ذراعيه فوق صدره، ونظر بغضب إلى انعكاس صورته في المرآة القديمة الموضوعة فوق خزانة الأدراج. فكرة احتمال الحصول على المفتاح الملقى في أرض الاصطبل أصبحت أكثر قبولاً لديه. تساءل لماذا شعر أنه مضطر إلى البقاء هنا، بعد أن وصل الأمر إلى هذه الدرجة. تباً! لقد حافظ على وعده لجده بالقدوم إلى هذا المكان المهجور، إلا أن لوسيوس ماكدونوف لم يحافظ على وعده.

لكن... هل هذا سبب كافٍ ليخيب أمل فليكس؟ تنهد لوكاس بسبب معرفته للجواب البديهي، وبدأ بذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. عليه أن يهدأ، وإلا فإنه سيقول كلاماً متهوراً أو ربما سيتصرف بتهور عندما يقرر ماكدونوف الظهور، وهو لا يريد القيام بذلك.

من تراه يخدع بحق السماء؟ فهذا ما يريده بالتحديد. بالإضافة إلى ذلك، يريد أن يقول لماكدونوف أي أحمق هو ليوصل مزرعته إلى الحضيض، وليستخدم امرأة ترتدي ثياباً كالرجال، وتتصرف بفظاظة مثلهم. وبالرغم من ذلك، يمكنها في لحظة واحدة أن تتحول إلى أنثى مليئة بالعاطفة.

هل كانت طريقة استجابتها لعناقه مجرد تمثيل؟ مع أنها لمحت له أنها كذلك، لكن لوكاس ليس أحمق. باستطاعة النساء الحصول على جوائز عالمية في التمثيل بلمح البصر. بإمكانهن البكاء إن اعتقدن أن الدموع ستوصلهن إلى حيث يردن، وبإمكانهن الابتسام إن اعتقدن أن الابتسام خيار أفضل، بإمكانهن التظاهر أن ما يثير اهتمامك يثير اهتمامهن، وأنهن لا يبغين شيئاً في الحياة سواك، وأنهن غير مهتمات بلقبك، أو بثرائك أو بممتلكتك، آه! هذا كله صحيح. هو يعرف ذلك وأكثر. لا يمكن للرجل أن يصل إلى عمر الثانية والثلاثين، من دون أن يقابل العديد من النساء الخبيرات بالتخطيط والتظاهر والكذب، لا سيما حين يكون من عائلة ريبز البالغة الثراء، وقد ضاعف هو نفسه ثروتها من خلال توسيع

امبراطورية هذه العائلة.

ظهرت على فمه ابتسامة رقيقة.

الشيء الوحيد الذي لا يستطعن الكذب بشأنه هو العلاقة الحميمة، لكن هذا لا يعني أن المرأة لا تحاول ذلك، فقد همست إحداهن في أذنه في أول علاقة لهما الكثير من التأوهات والهمسات والأصوات الرقيقة، لكنها كانت تكذب في ما تقوله، وأدرك هو ذلك على الفور.

عندما تكون المرأة صادقة في مشاعرها تلتمع عيناها ببريق خاص ساحر، وتتسارع دقات قلبها، وربما ترتجف كورقة الصفصاف بين ذراعي حبيبها.

فهو يعلم جيداً ما الذي تريده المرأة من حبيبها، وأي إحساس مفعم بالحرارة يتولد لديها بتأثير عناقه.

لم يساوره أي شك بأن المرأة التي عانقها منذ عدة ساعات لم تكن تمثل. سواء أعجبها ذلك أم لا، فإنها تأثرت بعناقه مثلما تأثر هو تماماً. تجهم وجه لوكاس، فهو ما زال يشعر بتأثيرها عليه حتى الآن.

يا إلهي! إنه حقاً في حالة يائسة! فهو بحاجة إلى طعام وشراب، وإلى العودة إلى العالم الحقيقي. أما أن يكون لامرأة لم تفعل شيئاً سوى إغضابه مثل هذا التأثير عليه، فهو أمر بمنتهى السخافة. يا إلهي! إن فكره لا يزال منشغلاً بالمرأة التي عانقها في الاصطبل، وهو ما زال يشعر بها بين ذراعيه. فالإحساس بها بدا رائعاً ومميزاً.. إحساس لم يعرفه مع امرأة قبلها.

تباً!

بإمكان ماكدونوف أن يتحمل بمفرده وزر كذبه بشأن مزرعته، وموعده المنسي مع لوكاس. فأن يقوم هذا الأخير بزيارة المزرعة إكراماً لفليكس أمر، وأن يجعل من نفسه أحمق أمر آخر مختلف جداً.

سار بخطى واسعة نحو الباب، وفتحه بقوة، ليجد كبير العمال الكتوم على وشك أن يطرق الباب.

- ها أنت هنا، سيدي!

أجاب لوكاس بصراحة: «لكن ليس لوقت طويل، فقد سئمت الانتظار».

- هذا سبب مجيئي إلى هنا، ما من داعٍ للانتظار بعد الآن.

- أحقاً، حسناً! المرأة تلك التي تعمل هنا..

- ليس هناك امرأة تعمل هنا.

لسبب ما، جعله هذا التأكيد للأمر الذي تصوره أكثر غضباً. قال بسرعة: «امرأة سيدك، إذاً! أعطتني مفتاحاً لسيارة قديمة، قالت إنها موجودة خلف الاصطبل، لكنني لم...».

توقف عن الكلام فجأة، لماذا يفسر للرجل ما سيفعله؟ تابع: «أريد ذلك المفتاح الآن».

- قلت لك للتو...

انفجر لوكاس غاضباً: «أعرف ما الذي قلته، من المؤكد أن هناك مفتاحاً آخر، وأنا أريده فوراً».

- أتيت لأقول لك ما طلب مني قوله: يمكنك أن تنزل إلى مكتب السيد ماكدونوف.

- هل تقصد أنه وصل أخيراً؟

وجد لوكاس أنه أصبح يكلم نفسه، إذ استدار كبير العمال، وبدأ بالنزول إلى القاعة.

شعر برغبة قوية في أن يندفع وراء الرجل، ويمسك به من ياقته ليسمره على الحائط، إلا أن هذا سيبرهن أنه غير قادر على السيطرة على نفسه، وبدلاً عن ذلك تنفس بعمق. حاول تذكر المثل القائل بإصابة عصفورين بحجر واحد! بإمكانه أن يرى ماكدونوف الآن، وبعدئذٍ سيطلب مفتاح تلك السيارة المزعجة، ثم يقول وداعاً لهذا المكان الكريه.

اكتشف لوكاس أن غرفة المكتب تقع في آخر المنزل، مع أنه اعتقد أنها لا بد أن تكون في الجناح الأمامي لمنزل قديم كهذا. بدت الغرفة كبيرة الحجم، مفروشاتها مصنوعة من الجلد وخشب السنديان، لكن أكثر ما أثار انتباهه فيها تلك الصور والمخطوطات الموضوعة في أطر والمعلقة على الجدران.

خيول وقطعان، أراضٍ لسباق الخيل ومخازن وإصطبلات. احتاج إلى دقيقة

www.elromancia.com

من الوقت ليدرك أن الصور تمثل المزرعة وهي في أوج ازدهارها؛ أنيقة، ومعتنى بها جيداً.

ربما كذب ماكدونوف بشأن الفرس الذي ادعى أنه يريد بيعها، وربما عمل بطريقة ما على تحويل هذا المكان إلى خراب، إلا أن لوكاس لم يشك بأن الرجل اعتنى بهذه المزرعة من قبل جيداً، كما أنه يفهم تماماً ما معنى أن يكون الرجل فارساً.

- من المؤسف أن تصل إلى ما وصلت إليه، أليس كذلك؟ تبدو هذه كأنها صور محزنة من تسلسل زمني يمثل ما كانت عليه المزرعة في السابق، بالمقارنة مع ما أصبحت عليه الآن. حسناً! وصلك استدعائي.

استدار لوكاس على الفور، فرأى رجلاً واقفاً بالقرب من الباب، وقد ظهرت ابتسامة على وجهه، أقل ما يمكن أن يقال فيها إنها تتسم بالقلق.

فكر لوكاس ببرودة وهو ينظر ملياً إلى مضيفه، بالطبع، عليه أن يكون قلقاً ومتوتراً.

لم يجد لوسيوس ماكدونوف كما توقعه مطلقاً. تخيل رجلاً طويل القامة، نحيل الجسم، يتحمل قساوة الطبيعة، مرتدياً بذلة داكنة اللون مع ربطة عنق طويلة، وينتعل حذاء لامعاً عالي الساقين. فكر باستياء أنه على الأرجح شاهد العديد من أفلام هوليود التي تصور مشاهد من الحياة في الغرب على شاشة التلفزيون في ساعات الليل المتأخرة، أثناء إقامته في بال.

بدا السيد ماكدونوف قصير القامة، بدين الجسم، مرتدياً بذلة رمادية اللون وربطة عنق قصيرة، على شكل فراشة، ذات لون مشرق. صفف ما تبقى من شعره بطريقة تؤكد على الصلع الذي اجتاح جمجمته، أما وجهه فمتورد وينضح عرقاً.

لم يشعر لوكاس بالارتياح لرؤيته منذ اللحظة الأولى. وعلى الفور، لمعت في ذهنه صورة المرأة صاحبة الشعر الأسود، وعلاقتها به. شعر بالتوتر يسيطر عليه، لدرجة أنه لم يستطع سوى التحديق إلى يد ماكدونوف التي مدها هذا الأخير ليصافحه. اختفت الابتسامة القلقة عن وجه الرجل، حين أجبر

لوكاس نفسه على إمساك تلك اليد الممدودة إليه، والتي بدت ناعمة ورطبة، تماماً كما اعتقد.

- يسعدني جداً لقاء سموك.

قال لوكاس وهو يبتسم باستياء: «من فضلك، من الصعب أن أكون صاحب سمو».

سحب يده، وقاوم بشدة الرغبة في مسحها بسرواله. لا بأس، لقد تحمل الجزء الأكبر من هذا العذاب، وسيتحمل هذا اللقاء بعد. لكن.. لتذهب إلى الجحيم كل اللياقات الاجتماعية، فلم يظهر أحد التهذيب تجاهه، وأفضل ما يستطيع تقديمه - احتراماً لاسم والده - هو البدء مباشرة بالموضوع.

- سيد ماكدونوف!

- من فضلك... قبل أن نبدأ، دعني أعتذر من حضرتك.. سموك.. هل ما أقوله صحيح؟ أهذه هي الطريقة الصحيحة للتحدث إليك؟

- نادني ريز فقط.

- آسف على التأخير، سيد ريز.

- وأنا أيضاً، إذ كان من المفترض أن نلتقي منذ ساعات مضت.

- آسف. بالطبع.. لست معتاداً على لقاء... حسناً! ماذا تفضل؟ ربما بعض الطعام...؟

فَقَدَ لوكاس شهيته بعد كل ما مر به.

- لا شيء. شكراً لك. فقط دعنا ننهي عملنا، سيد ماكدونوف. لهذا السبب أنا هنا.

ازداد تعرق وجه ماكدونوف، وقال بهدوء واحترام: «يمكنني أن أرى أنك منزعج، سمو الأمير...».

فكر لوكاس أن يصحح له من جديد، لكنه بدّل رأيه، فهو لا يتحلى بالكثير من الصبر مع الأغبياء والمخادعين، ومما لاحظه في ماكدونوف حتى الآن، يمكنه الجزم بأنه يملك الصفتين معاً. يكاد الرجل أن يحني ركبته احتراماً، من دون أن يرف له جفن.

- أعتذر، سيدي. أنا آسف لأنني لم أكن هنا عندما وصلت.

تنهد لوكاس في سره، وعدَّ بصمت إلى العشرة، ثم أجبر نفسه على الابتسام متمنياً أن تكون ابتسامته مقنعة، وقال: «تحدث أمور كهذه دائماً، بالنسبة إلى رجل الأعمال، أو صاحب المزرعة. أتفهم ذلك هكذا...».

تابع بصوت هادىء وواضح: «لنبدأ من جديد؛ يسعدني لقاؤك سيد ماكدونوف، جدي يرسل لك أطيب تمنياته».

- شكراً لك، سمو الأمير. لكن... لكن يجب أن أقول لك إنني لست لوسيوس ماكدونوف.

فشل لوكاس في الاستمرار بالابتسام، وقال: «من أنت إذاً؟».

- أدعى ثاديوس نورتون. أنا محام.

علق لوكاس بضيق: «سيد نورتون، هذا كله مضيعة للوقت. أتيت إلى هنا للقاء لوسيوس ماكدونوف. فأين هو؟».

- سأشرح لك كل شيء سيدي، إذا أظهرت بعض الصبر فقط.

- سئمت من التحلي بالصبر! أين هو ماكدونوف؟ وأين الفرس؟

ظهرت ملامح من الارتباك على وجه المحامي لا يمكن وصفها في مجلد واحد.

- أي فرس... سمو الأمير؟

- دعني أوضح الأمور، نورتون. قال جدي إنه عقد اتفاقاً لشراء فرس، وأنت وأنا نعلم أن ليس هناك أي فرس. لذا هناك احتمالان: إما أن جدي ارتكب خطأ، أو أن موكلك زوَّر الحقائق. غير أنني أؤكد لك أن ليس من عادة جدي أن يرتكب الأخطاء.

ابتلع نورتون غصة بصوت مسموع قبل أن يقول: «لا أعلم كيف أفسر لك الأمر سيدي، لكنك على حق، ليس هناك أي فرس...».

ظهرت من جديد عقدة الحنجرة لديه، فابتلع الغصة مرة أخرى قبل أن يتابع: «.. لكن هناك كل ما تبقى: الأرض والمباني. أعلم أن الأمور تبدو الآن في وضع بائس، لكن...».

مع سماعه تلك الكلمات، بدأت الحقيقة تظهر أمامه: لقد تم خداع فليكس!

لم يأمل ماكدونوف في بيع فرس لتغني خيول ريبز بالذكاء والجمال والقوة، بل أمل أن يتخلص من هذه الملكية الخاسرة بنقل ملكيتها إلى صديق قديم. حاول لوكاس أن يحافظ على هدوئه، مع أنه رغب في اجتياز الغرفة، والامساك بياقة المحامي، وهزه قليلاً.

قال من بين أسنانه: «أنت وماكدونوف أهنتماني وأهنتما جدي. هل اعتقدت فعلاً أنني قد أحضر إلى هنا بحجة شراء فرس، وبدلاً من ذلك أوافق على شراء هذه... هذه الأرض القاحلة الجرداء المنسية؟».

- من فضلك، سمو الأمير... أتوسل إليك أن تهدأ وتتمالك أعصابك.

زأر لوكاس: «إنني متماسك وهادىء بشكل قوي! والآن، أحضر لي لوسيوس ماكدونوف إلى هنا لأخبره بما أفكر به في وجهه!».

- أخشى القول إن ذلك مستحيل.

عقد لوكاس يديه على شكل قبضتين قويتين. عليه حقاً أن يحافظ على هدوء أعصابه وإلا فإنه سيدفع بقبضتي يديه إلى أحشاء ذلك الرجل الواقف أمامه.

صاح به: «وكذلك الاستمرار في هذا النقاش».

واستدار ليسير بخطوات واسعة باتجاه الباب.

- أيها الأمير لوكاس، أنت لم تفهم ما أريد قوله. لوسيوس ماكدونوف ميت.

استدار لوكاس من جديد، وحدق بثاديوس نورتون.

- لا يمكن أن يكون ميتاً. تحدث جدي إليه الأسبوع الماضي، واتفقا على هذا الموعد.

- لا بد أنك فهمت ذلك بطريقة خاطئة. فلوسيوس توفي منذ ستة أشهر.

- فهمت ما حدث بصورة واضحة جداً. كنت قرب جدي عندما اتصل به.

يملك لوكاس قدرة ممتازة على استيعاب اللغة الإنكليزية، مع ذلك، فإن بعض العبارات بقيت تثير حيرته، منها على سبيل المثال: «رصاصات من العرق»، فهو لم يفهمها مطلقاً إلى أن رأى الآن قطرة كبيرة من العرق تنهمر من جبين نورتون.

– آه! لا أعتقد أنك تعرف التاريخ المحدد لذلك الاتصال سيدي، أليس كذلك؟

هذا سؤال تسهل جداً الإجابة عليه، فلوكاس يلتقي بفليكس أيام الإثنين. وهذه مجاملة يقوم بها ليبقي جده على اطلاع على نشاطات شركات ريبز وأحوال ممتلكاتها.

– الإثنين الماضي، في وقت متأخر من بعد الظهر، لا بد أن الوقت كان صباحاً هنا.

ابتلع المحامي غصة بصعوبة، وأجاب: «ذلك الاتصال جرى بيني وبين جدك، سيدي».

– أنت تحدثت مع فليكس؟

– نعم، سيدي.

ضاقت عينا لوكاس: «هل تقصد أن جدي أرسلني إلى هنا، وهو يعلم أن ماكدونوف قد مات؟ أتعني أنه كذب عليّ؟».

أسرع نورتون بالرد: «لا! إنني متأكد من أنه لم يكذب عليك، أشك فقط بأنه... ترك بعض الحقائق مجهولة لديك».

قال لوكاس بصوت ناعم تعلم الكثيرون أن يخافوه: «إنها طريقة مهذبة لتقول نعم. أنت توحي بأن جدي كاذب».

– من فضلك، سيدي. حاول أن تفهم. أنا هنا فقط لأمثل موكلي، أما بالنسبة للحديث الذي دار بيننا أنا وجدك...

ابتلع نورتون غصة جديدة وتابع: «... قال جدك إن الوقت حان لإنجاز الخطة التي اتفق عليها مع موكلي منذ سنة».

– أية خطة؟

أدار نورتون يديه معاً بحركة متسائلة، وقال: «ظننت... ظننت، أنك وجدك قد تحدثتما بالأمر، وأنك... تعلم..».

– تباً! تحدث عن الأمر! أية خطة؟

– حسناً...! حسناً! منذ سنة تحدث لوسيوس مع جدك... عن المزرعة

الكبرى، و...

تابع لوكاس بصوت كالهدير: «... ورأى موكلك أن هناك فرصة لاستغلال الصداقة القديمة بينهما».

– لا، سيدي! ليس هذا ما حدث.

نبضت عضلة في خد لوكاس، فالتفاصيل لا تعنيه مطلقاً. كان ماكدونوف يائساً للحصول على المال، وتوصل إلى وضع خطة لاستغلال صديق قديم. سواء كان الرجل ميتاً أم لا، فهو كاذب ومحتال.

مع ذلك... لماذا كذب فليكس بشأن الفرس وبشأن ماكدونوف إن كان يعلم أن ليس هناك فرس وأن ماكدونوف ميت؟ يعرف لوكاس أنه يستطيع الوثوق بفليكس ولو مقابل حياته، فهل يكتشف الآن أن تلك الثقة ليست في موضعها؟ هل بدأ فليكس يعاني من الخرف؟

إنها فكرة مريعة، لكنها تفسير معقول. فإما أن فليكس قد كذب عليه أو أن ذاكرته بدأت تخونه، وكلا الحالين سيء. تنهد لوكاس بقوة، ثم تشدق قائلاً: «سيد نورتون، حصل سوء تفاهم بيننا، وأرى الآن أن لا علاقة لك بما حدث».

هز نورتون رأسه بارتياح، وعلق: «شكراً لك، سيدي».

عاد الضيق إلى صوت لوكاس وهو يقول: «من الواضح أن هذه المسألة قد انتهت. أعتقد أنك أتيت إلى هنا بالسيارة، لذا سأكون ممتناً لك إن أوصلتني برفقتك إلى البلدة، فأنا لا أملك وسيلة نقل، وتلك قصة طويلة ومملة جداً، لكن...».

قاطعه نورتون بسرعة: «لم يتهِ شيء بعد، سمو الأمير».

تصلبت شرايين لوكاس، وعلق ببرودة: «أؤكد لك ذلك».

– الاتفاق بين جدك وموكلي...

– تباً لك، يا رجل! أنا لست غبياً. عمل موكلك كل ما في وسعه ليجر جدي... ليجر مزارع ريبز إلى هذه... الضائقة المالية، إلا أن هذا الأمر لن يحدث أبداً.

تراقصت عقد الخنجرة لدى نورتون من جديد.

- لقد حدث بالفعل، سيدي. جدك اشترى المزرعة الكبرى منذ سنة، وتم نقل الملكية عند وفاة موكلي.

أصيب لوكاس بصدمة كبرى. تباً! شركة ريز تملك هذه البقعة المنكوبة؟

- اتصل جدك الأسبوع الماضي ليقول إنه جاهز لتنفيذ بنود العقد. وإنه سيرسلك... آه... لإنجاز الشرط الملزم للعقد النهائي.

- دعني أرى العقد.

سحب المحامي منديلاً أبيض كبيراً من جيبه ومسح وجهه.

- ربما علينا التحدث عن الشرط الملزم أولاً، سيدي، ثم...

- تباً، ثاديوس! توقف عن المراوغة. دعني أرى العقد.

قطع صوت أنثوي حاد جو الغرفة، فاستدار لوكاس وحدق بالمرأة الواقفة عند حاجب الباب.

إنها طويلة، نحيلة القد، وشعرها الأسود كالليل، مربوط في عقدة أنيقة عند مؤخرة رأسها، رأى حبات من اللؤلؤ تلمع في أذنيها وحول عنقها، وهي ترتدي قميصاً من الحرير الأبيض اللون، وسروالاً أسود، وسترة من الجلد، وتنتعل حذاء عالي الساقين أسود اللون لماعاً. بدت المرأة كأنها خرجت للتو من منزل فخم في مدينة مانهاتن، وليس من إصطبل. مع ذلك، فذلك هو المكان الأخير الذي رآها فيه.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها: «يبدو أنك تحسنين ارتداء الثياب، مع أنك امرأة تكسب عيشها من تنظيف الاصطبل».

رمته المرأة بنظرة جليدية أخفضت حرارة الغرفة.

- كان عليك أن تعمل بنصيحتي، وتغادر المزرعة الكبرى، سيد ريز.

ابتسم لوكاس لها ببرودة وعلق: «وأتخلى عن متابعة العرض المشوق الذي سيحدث هنا؟ لا مجال لذلك».

مدّت يدها إلى جيبها، وأخرجت المفتاح ذاته الذي قدمته له من قبل.

- لم يفت الأوان بعد.

ظهرت على فمه ابتسامة أخرى تدل على الانزعاج.

- الأمور تأخذ منحى أكثر إثارة كما أرى... صدقيني!

ضحكت المرأة بمرارة وكررت: «أكثر إثارة..؟!».

قال بحذر: «يبدو لي أن الضحك ليس هو الرد المناسب».

- صدقني أيها السيد، لا مجال مطلقاً لأي رد آخر.

تقدم خطوة نحوها وهو يقول: «لِمَ لا تحاولين الاعتذار بدلاً من الضحك، فما زلت تدينين لي بذلك».

جعلها كلامه تضحك من جديد، فارتفع ضغط دمه. إنه في خضم لعبة ما، لكنه لا يعرف قوانينها. لا يعرف من هو خصمه، ولا يعرف ما هي الجائزة التي يلعب لأجلها. الأمر الوحيد الذي هو متأكد منه هو أن هذه المرأة منغمسة حتى أذنيها بما يجري هنا.

قال وهو يسير بهدوء نحوها: «لديكما دقيقة واحدة لتشرحا لي، أنت أو نورتون.. ولا أهتم مطلقاً من منكما سيخبرني بما يجري هنا. دقيقة واحدة، ثم سأغادر».

- هل أخبرك أحدهم أي عنيد أحمق أنت؟

يا إلهي! شعر بالغضب يتصاعد في داخله من جديد.

- حذرتك من قبل عزيزتي! راقبي ألفاظك وأنت تتحدثين إلي.

- انتهت أيام الملكية سيد ريز، ولعب دور الامبراطور لن يوصلك إلى أي مكان، لا سيما هنا. هذه بلادي وأرضي، وأنا...

شعر لوكاس كأنها ضربته بسوط خفي. فلم يعد يهمه شيء إلا التعامل مع وقاحتها اللامتناهية، وهو يعرف تماماً كيف يفعل ذلك. شدها إلى ما بين ذراعيه وعانقها.

٤ - امرأة برسم البيع

منذ ساعات فقط قاومته بشدة، ثم استسلمت لعناقه. لكن هذه المرة، لم تقاومه فقط، بل حاربته كهرة برية. حاولت أن تعضه، أن ترفسه، أن تبعده عنها بأية طريقة.

لكن لوكاس لم يسمح بحدوث ذلك. استعمل غضبه، طول قامته وقوته، ليدفع بظهرها باتجاه الجدار، ثم استعمل يديه ليمسك بيديها ويثبتهما إلى جانبيها ثم عانقها.

سمع المحامي ينادي بصوت غير جلي اسمه، لكنه تجاهله. تجاهل كل شيء إلا الحاجة الملحة بأن يكسب المعركة، ويلقنها درساً يعلمها فيه أنها لا تستطيع الضحك منه أو النظر إليه كمخلوق يستحق ازدراءها.

حتى تحت تأثير الغضب المسيطر عليه، اعترف لوكاس أن هناك ما هو أكثر من ذلك؛ يشعره عناقها بمذاق عاصف ولذيذ، مليء بالعاطفة الجياشة، بالإضافة إلى تلك الحرارة التي تتدفق من بشرتها الناعمة كالحرير.

وبينما كانت تحاربه وهو يجبرها على تقبل عناقه، راح ذلك الجزء المتحضر من شخصيته يسأله عما يفعل بحق السماء! لم يجبر مطلقاً امرأة على الإذعان لعناقه في حياته كلها، لكن هذا ما يرغب به الآن.

لا، ليس الاذعان. تباً! إنه لا يريد الاذعان منها على الإطلاق. يريد أن تذوب تحت لمساته، وتبادله العناق. أصبح عناقه أكثر رقة، وخفف من ضغط يديه على معصميها، ثم همس في أذنها بكلمات باللغة الإسبانية. كلمات يستعملها الرجل ليقول لحبيبته كم هو مغرم بها.

التقطت المرأة أنفاسها، وأصبحت دافئة لينة بين ذراعيه. شعر بتغير حالها،

وباستسلامها، كأنما أصبح هو من يصدر الأوامر الآن وليس هي.

بإمكانه أن يدعها الآن . . بإمكانه أيضاً أن يستمر في معانقتها إلى أن تتوسل إليه ألا يتوقف أبداً . . .

يمكنه أن يغرقها في عناقه لساعات، ويجعلها تهتف باسمه . . .

صرخت المرأة وقد أبعدت يديها، أو . . ربما هو من تركهما . . مهما يكن الأمر، تراجع لوكاس إلى الوراء، فترنحت، وقد فتحت عينيها بقوة، فبدتا مظلمتين وتشعان بكرهٍ شديد، أو . . . بشيء جعله يرغب في أن يمسك بها ليعانقها من جديد.

رأى لوكاس المرأة ترتجف، والمحامي قد جحظت عيناه وبرزتا إلى الأمام. أجبر نفسه على التكلم بهدوء مطلق، وكأن شيئاً لم يحدث: «والآن، ربما يمكننا معرفة الحقيقة».

قالت: «الحقيقة هي أنك ابن . . .».

- أليسا!

نهض المحامي، وهرول بسرعة ليقف بينهما، متابعاً: «أقترح عليكِ ألا تقولي أي شي تندمين عليه».

- نصيحة ممتازة، عزيزتي!

قالت أليسا بصوت منخفض: «لدي نصيحة لك سيد ريز: اخرج من بيتي، بحق الجحيم!».

نظر لوكاس إلى نورتون، ثم ابتسم بمكر، قائلاً: «هل ترك موكلك المزرعة الكبرى إلى . . . ماذا ناديت السيدة؟ أليسا؟».

ضم ذراعيه إلى صدره: «ومن تكون أليسا؟ أهي الخادمة . . . أم الطاهية . . . أم فتاة الاصطبل؟ ربما أكون قد أسأت الفهم، لكن . . . ما فهمته هو أنني أملك هذا المكان الآن».

أصبح صوته قاسياً وهو يتابع: «أملكه كله بدءاً من المراعي القاحلة إلى المخزن المتهدم. أليس كذلك، نورتون؟».

بدا المحامي كأنه مستعد لتقديم أي شيء مقابل أن يختفي من هذا المكان. مرر

إصبعاً مرتجفاً داخل ياقة قميصه: «هذا صحيح، سيدي. مع أنني أخشى القول إن الأمر أكثر تعقيداً مما ذكرت».

دمدم لوكاس: «أكثر تعقيداً؟ تم الاحتيال على جدي لشراء هذه المزرعة التي لا فائدة منها، وأنا... تم الاحتيال عليَّ لكي آتي إلى هنا، فهل تقول لي إن هناك المزيد؟ هل ستقول إن عليَّ إنقاذ أميرة أسيرة مكبلة في برج عالٍ يحرسه تنين؟».

أصدر نورتون صوتاً كأنه يتقيأ، أما المرأة، أليسا، فضحكت بمرارة.

استدار لوكاس لمواجهتها، وقد بدا وجهه أبيض اللون من شدة الغضب: «لا تضحكي مني مرة ثانية، وإلا... أعدك، أنك ستندمين على ذلك».

ردت بسرعة: «ما أندم عليه فعلاً هو أنني لم أترك بيبي يطرحك أرضاً ويدوس عليك بحوافره».

علق لوكاس بمكر: «ما هذا السحر كله؟ أنا واثق من أنك تظهرين الكثير من الرأفة نحو عشيقك».

شحب وجه المحامي: «سيدي... دعني أفسر لك من هي أليسا... من هي هذه السيدة...».

- تصورت من تكون بنفسي، التفسير الوحيد الذي أريده الآن هو ما الذي تعنيه بما سميته «الشرط الملزم» بحق السماء؟ هل أملك هذه المزرعة أم لا؟

- حسناً...!

قاطعته المرأة بنبرة ساخرة: «بالطبع هو يملكها، إنه صاحب شركة ريبز، ثاديوس. قال لي ذلك بنفسه».

نظر لوكاس إليها، وأدرك ما هي المشكلة. اشترى فليكس هذا المكان المزري، والآن مات ماكدونوف، لكن صديقته... حبيبته... أياً تكن صفتها، غاضبة جداً. فقد توقعت أن ترث هي هذه الملكية.

يا للمستهترة الجشعة!

منذ لحظة، كان ليسعد بأن يحل هذه المسألة بتقديم المزرعة الكبرى إلى أية جمعية كإحسان منه. أما الآن، فهو سيقاتل هذه المرأة الساخرة حتى النهاية ليحتفظ بها. قال لها بنعومة: «وأنت تريدينها لنفسك. هذا كل شيء، أليس

كذلك؟ وهذا ما سميتماه «الشرط الملزم»».

قالت وهي ترفع كتفيها ورأسها إلى الأعلى: «المزرعة هي لي لأنها حق من حقوقي. هذا أمر شرعي وإنساني، كما أنه جدير بالاحترام. إنها لي».

قال بصوت كالحرير: «بالطبع إنها كذلك، عزيزتي. فقط فكري بكل ما فعلته لتحصلي عليها».

اصطبغ وجهها بلون قرمزي، وعلقت: «أنت لا تعلم عما تتحدث!».

- أؤكد لك أنني أعلم، أعرف التضحيات التي قدمتها بالعيش مع رجل عجوز، تشاركينه الفراش...

- أنت... أنت شخص حقير! سوف آخذ هذا «الشرط الملزم» اللعين إلى المحكمة، وسوف أربح الدعوى.

- هل تملكين مليون دولار؟ لأن هذا ما عليك أن تدفعيه لتريني أنا ومحامي في قاعة المحكمة.

حدقت المرأة إليه بغضب، وأجابت: «أنت أكثر من... متكبر، سيد ريبز. أنت أحمق أيضاً».

تقدم لوكاس منها خطوة، فأسرع المحامي ليقف بينه وبينها.

- أليسا.. أيها الأمير لوكاس.. صحيح أن موكلي توفي، لكنني مرتبط بعهد شرف كي أستمر في تمثيله.

إظهار نورتون العزيمة والقوة في شخصيته أمر فاجأ لوكاس. لكن ما يقوله صحيح، فهناك مسألة قانونية يجب أن تحل، وهو لن يسمح لغضبه من هذه المرأة بأن يعترض ذلك. قال بهدوء: «حسناً! لنصل إلى صلب الموضوع إذاً، أم أننا وصلنا إليه؟ هل أحضرتني إلى هنا، قاطعاً كل هذه المسافة كي تحذرني من حقيقة أن هذه المرأة ستحاول إقناع المحاكم أن عملية بيع المزرعة ليست صحيحة؟ وأنه كان يجب أن ترثها هي؟ إن كانت هذه هي المسألة، علي أن أخبرك أنني لا أعتقد أن هناك أية قواعد قانونية تؤيد ما تقوله».

- أوافقك الرأي، سيدي، لكن ليست هذه هي المشكلة.

- ما هي إذاً؟

يا إلهي! إنه متعب، وبحاجة إلى الاستحمام وتناول الطعام، ثم إلى النوم لليلة بأكملها، لكنه يشك بأن يستطيع الحصول على شيء من ذلك في وقت قريب. . .

قالت المرأة: «أخبره، ثاديوس».

نظر لوكاس إليها. رأى وجهها مغلفاً بتعابير غامضة، لكن كرهها له يشع بقوة من عينيها.

فجأة اضمحل كل الإرهاق الذي يشعر به، وراح يفكر كيف يمكنه أن يمحو تلك النظرة من عينيها بضمها بين ذراعيه وبمعانقتها حتى تخضع له.

تباً! سار بخطى واسعة نحو النافذة، وحدق بالظلام بينما أخذت الريح تهز أوراق الشجر، وأخذ المطر ينهمر بقوة على سطح المنزل. لا مكان لديه ليرحل إليه قبل الصباح. أو. . ليكون أكثر دقة، ما من وسيلة لديه ليغادر هذا المكان قبل ذلك الوقت. لذا عليه أن يهدأ.

أخذ نفساً عميقاً، ثم استدار ليواجه المحامي: «إنها على حق هذه المرة، نورتون. أخبرني بقية القصة، فأنا متأكد من أنني سأجد الموضوع مسلياً».

سحب المحامي منديلاً من جيبه ومسح وجهه قائلاً: «أولاً، يجب أن تفهم سيدي أن المزرعة لم تكن دائماً كما هي اليوم».

نظر لوكاس إلى الصورة المعلقة على الجدار، وعلق: «وإن يكن. . فهذا أمر لا يعنيني مطلقاً، حتى لو كانت أفضل مزرعة في تكساس كلها».

قالت المرأة بنبرة دفاعية: «هذا ما كانت عليه فعلاً».

- حسناً! كانت كالجنة. فقط أكمل ما تريد قوله.

- إنه أمر ملكي ثاديوس، ويجب عليك الطاعة.

حدق لوكاس بغضب إليها، وقال بنعومة: «كوني على حذر، عزيزتي».

- نعم أليسا. من فضلك، أنت تجعلين الأمور أكثر سوءاً.

قالت بغضب: «أنت من جعل الأمور أكثر سوءاً، لو أنك فعلت كما طلبت منك، وتجاهلت ببساطة المسألة. .».

ضرب لوكاس بقبضته سطح المكتب، هذا كثير عليه ليبقى هادئاً. قال بصوت كالزئير: «تباً! هذا يكفي! قل لي ماذا تخفي بشأن العقد نورتون، وإلاّ

فإنني لن أدعك تمارس المحاماة ثانية».

حمل ثاديوس نورتون حقيبة صغيرة عن الكرسي، وأخرج منها ملفاً كبيراً.

- فقط. . اعلم سيدي أنني قلت للوسيوس إن هذا العمل جنوني.

- جنوني؟

ضحكت المرأة بتوتر، وتابعت: «ماذا عن كونه لا أخلاقي؟ غير منطقي؟ وماذا عن كونه أشبه بنص في مسرحية سيئة جداً؟».

قال لوكاس ببرودة: «عندما تتعبان من هذا النقاش، ربما ستتحليان ببعض الصفات الجيدة وتخبراني عما تتحدثان بحق السماء».

فتح المحامي فمه ثم أغلقه من جديد. رمته المرأة بنظرة قاسية، ثم رفعت ذقنها، بدت جميلة، متكبرة، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منها.

- ثاديوس جبان، لذلك أنا سأخبرك، وبعد ذلك يمكننا أن نضحك جميعاً. في البداية، أكره أن أخيب أملك، سيد ريز، لكن لوسيوس لم يكن حبيبي. . .

توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تتابع: «. . . كان والدي».

- أأنت ابنة ماكدونوف؟

- ابنته المتبناة، اسمي الحقيقي مونترو، ولم يكن هناك أي إحساس بالتعاطف بيننا أنا ولوسيوس.

قال نورتون بضيق: «أليسا، هذه قصة قديمة».

- أنت على حق ثاديوس، لكن ضيفنا المبجل يريد أجوبة، حسناً! أنا سأعطيه تلك الأجوبة. أمي متوفية وكذلك لوسيوس. لا أستطيع التخيل أنني سأفتقده، لا سيما بعد أن جرني إلى. . . إلى كل هذه الفوضى.

ابتسمت بمرارة، وتابعت: «آسفة، لكن هذا قليل لوصف ما أصابني، بعد أن أصبحت النجمة في مسرحية قذرة، سمو الأمير، لكن هذه هي الحقيقة».

- دعيني أفهم الأمور بشكلها الصحيح.

قال لوكاس ذلك بنبرة رجل يراقب أرنباً سحب من قبعة، وهو يعرف جيداً كل أساليب السحر، يدرك أن ليس هناك أي سحر على الإطلاق.

- علم لوسيوس ماكدونوف أنه على فراش الموت. كانت زوجته قد توفيت

ولم يبق لديه سوى ابنة، وهي ابنة باردة المشاعر ولا تحبه، لذلك لم يرغب في تقديم الأرض التي يحبها لها.

- هذا جيد حتى الآن، لكنك فهمت نصف الأمور فقط، فالأرض هي لأمي، وكانت تحبها كثيراً.

قال لوكاس بسخرية واضحة: «اعذريني، حتى الآن عرفت من هم شخصيات المسرحية لكن النص ليس معي. أنت تريدين المزرعة، وأنا أملكها. ماذا بعد؟ لماذا أحضرتني إلى هنا؟ ألكي تتوسلي إلي كي أعيدها لك؟ أتريدينني أن أبيعها لك مقابل لا شيء؟».

لوى شفتيه بسخرية، وتابع: «أم أنك تخيلت أنك تستطيعين إغوائي كي أقدمها لك».

التقت عيناه بعينيها وهو يسألها: «أهذا هو مخططك؟».

قالت ببرودة: «حاول أن تفكر بأمر لا صلة له بما ذكرته».

ضم لوكاس ذراعيه إلى صدره وقال بضيق: «أحقاً؟ أنا لم أولد البارحة، عزيزتي. إن عدم ذكر اسمك في وصية والدك أمر صعب جداً عليك، ومن الصعب أن تتقبلي...».

- لكن اسمي ذكر في الوصية، وهذه هي المشكلة.

- إذاً، لقد ترك لك شيئاً ما؟ هذا أمر جيد، لا أرى ما علاقتي بالأمر إذاً، أو لماذا علي أن أقطع كل هذه المسافة لأشاهد هذه المسرحية البائسة.

هل هو مخطىء، أم أن شيئاً من ثقتها قد سحب منها؟

- هناك فقرة في العقد لم أعلم بها إلا بعد وفاة لوسيوس، وبعد أن قرأت الوصية، وهي ما يسميها ثاديوس «الشرط الملزم».

- يا إلهي! تقولين ذلك وكأن تلك الكلمة ستحرق لسانك. هل ستشرحين لي ما هي، أم يجب علي أن أنزعها من فمك؟

- أنصحك بعدم القيام بأي عمل أحمق، سيد ريز.

عادت إلى تلك النبرة العدائية، وبدا ما قالته تحدياً له، كذلك بدت طريقة كلامها. يدرك لوكاس أن ألقابه تبدو كمخلفات من عصور مضت في هذه

الأيام، لكن تجنبها المتعمد لمخاطبته بها بدا إهانة متعمدة له.

حسناً! لن ينشغل الآن بهذا الأمر. هو يريد الحقيقة، ويراوده شعور أنها أسوأ بكثير مما يبدو الوضع عليه. هناك رجل حاك مؤامرة ما ليحصل على مبلغ كبير من المال.

قال بفظاظة: «اشرحي لي الأمر، إذاً».

رطبت أليسا شفتيها بطرف لسانها، وقالت: «كل ما سمعته حقيقي، عرض والدي هذه المزرعة على جدك، ووافق جدك على شرائها. لكن...».

- لكن... ماذا؟

خفت صوتها فجأة وهي تقول شارحة: «أراد جدك شراء شيء آخر، ووافق والدي على بيعه له».

غرقت في الصمت، وبعد لحظة دوى صوت الرعد قوياً حول المنزل، وعبقت رائحة الهواء المشبع بالرطوبة، وسيطر التوقع الحذر على المكان. ثم لمع برق قوي من وراء النافذة. دوى الرعد من جديد، وذلك كله أضفى جواً من الميلودراما على المشهد. مع ذلك، فكر لوكاس أن هذه ليست مسرحية. مهما كان ما يجري هنا فهو حقيقي تماماً. تذكر أنه ذات مرة، وبينما كان يجذف بقارب صغير في نهر شديد الانحدار، اختل توازن قاربه على الحافة للحظات بدت له كالأبدية. يومها تسنى له الوقت الكافي لينظر إلى أسفل الجرف الذي احتضن أرواح العديد من الناس. توقف قلبه عن الخفقان وقد وجد نفسه فوق الجرف، في مكان ما بين الرعب والنشوة.

هذا ما يشعر به الآن وهو ينظر إلى أليسا ماكدونوف، منتظراً أن تنتهي من إخباره ما أتى إلى هنا ليسمعه.

قال بنعومة: «وما هو هذا «الشيء الآخر» الذي وافق والدك على بيعه لجدي؟».

بدا له كأن أزماناً مرت قبل أن تقرر أليسا التكلم. بعد ذلك ارتجفت، ورفعت عينيها إلى عينيه.

- أنا!

٥ - مكيدة وجنون

نظرة الرعب التي ظهرت على وجه لوكاس ريز الوسيم هي تماماً ما توقعته أليسا. تذكرت أن هذا يشبه تماماً ما شعرت به من الرعب عندما أخبرها ثاديوس للمرة الأولى ما معنى العبارة التي يرددها دوماً: «الشرط الملزم».

قالت بإصرار: «هذه مجرد مهزلة، ما من رباط قانوني ملزم بهذا الشكل، وفقرة كهذه لا معنى لها إطلاقاً».

أجابها ثاديوس بحذر: «الأمر ليس بهذه السهولة».

راح يفسر لها أن معاهدات الزواج قانونية وملزمة، وما زال يعمل بها في أجزاء عديدة من العالم، لا سيما بين العائلات المالكة.

زفرت أليسا باستياء: «لدي أخبار لك، نحن لا نبيع الناس هنا في أميركا».

- لا أحد يتحدث عن البيع، ما زلت أقول لك إنها...

- معاهدة زواج... لكنها غير شرعية. قل للأمير فليكس إنني قلت ذلك. وإن جادلك، فقل له إنه يمكنه أن يلتهم ذلك الشرط الملزم!.

- اقرأي العقد قبل أن تتخذي أي قرار، فالعقد يطلب من آل ريز أن يعيدوا إحياء هذه الأرض من جديد واستعمالها إلى الأبد في تربية الخيول والمواشي، وإلا فإن المصرف سيستولي عليها، وأنت تعلمين ما الذي يعنيه ذلك.

هي تعلم ذلك حقاً. فهنالك مستثمر محلي يلهث وراء هذه الأرض الشاسعة، متشوقاً لتحويلها إلى مجموعة من المنازل الرخيصة التي لا قيمة لها.

يا له من أمر مؤلم! خسارة أرض أمها أمر سيء جداً، كما أن خسارتها لصالح مستثمر بائس هو أمر أسوأ، لكن الزواج من شخص غريب...!

سألته باستغراب: «كيف أمكنك أن تنص مثل هذه الوثيقة؟».

اعترف لها ثاديوس أنه لم يفعل ذلك. محامو الأمير فليكس قاموا فعلياً بكافة الإجراءات القانونية، وهو لم يفعل أي شيء _ حسب قوله _ إلا وضع بعض النقاط على الحروف.

كانت لا تزال تئن بسبب تلك الوثيقة عندما أسقط عليها نورتون الأخبار الجديدة: حفيد فليكس، الأمير الذي سمح لجده أن يشتري له عروساً، هو في طريقه إلى هنا لينفذ الاتفاقية.

- لن ينفذ أي شيء!

- الوثيقة موجودة أليسا، وأخشى القول إن ليس هناك ما أستطيع القيام به.

- يمكنك تغييرها.. إجراء بحوث حولها.. إيجاد سوابق تسمح لنا بفسخها. هذا ما سأفعله. تباً! أنا درست القانون لسنة جامعية واحدة وأعلم أن ليس هناك أي قانون لا يمكن نقضه، فكيف يمكن ألا تعلم ذلك أنت أيضاً؟

كرر ثاديوس بنفاد صبر: «اقرأي العقد».

وهكذا قرأته. وكلما قرأته أكثر، كلما رأت بوضوح مدى براعة محامي ريز في استخدام اللغة والحيل القانونية. بدا العقد محبوكاً بطريقة لا يمكن مواجهتها، لهذا أرسلت إلى الأمير فليكس رسالة، طالبة منه أن ينسى ذلك الشرط الملزم. لكن لم يصلها أي جواب، فتصورت أن هذا يعني أن الأمير الإسباني لن يتوانى عن القدوم إلى المزرعة. تساءلت لما سيفعل ذلك؟ هل يحاول أن يمسك بها من خلال العقد الموجود؟ أيعتقد حقاً أنه يستطيع القيام بذلك؟ والأمر الأكثر أهمية هو لماذا سيرضى بالزواج من امرأة لم يرها في حياته مطلقاً؟ بدا لها أن الأمر الوحيد المنطقي في ما يحصل هو أن لوكاس ريز هو رجل تافه.

لا بد أنه قصير القامة، سمين ويسيل لعابه بشكل دائم من شفتيه الكبيرتين. ومن المؤكد أنه بشع بما فيه الكفاية، وربما إلى درجة تخيف الأطفال، أو أنه طويل ونحيل كالقصبة، ولديه أذنان طويلتان بعيدتان عن رأسه. وبعد عدة أيام، قررت أنه من المحتمل أن يكون لديه نتوء أيضاً.

بعد ذلك كادت هي وبيبي يصرعان أرضاً رجلاً غريباً طويل القامة، أسود الشعر، عيناه تلتمعان بالنشاط والحيوية، وهو فاتن إلى أبعد الحدود. تبين لها أنه

الأمير الإسباني، وأنه لا يملك أية فكرة عمن تكون، أو عن السبب الحقيقي لوجوده هنا. اعتقد الرجل بصدق أنه أتى إلى هنا ليرى فرساً، أما الحقيقة فهي أنه أُرسل إلى هنا ليراها هي، كأنثى صالحة للإنجاب، حسب رأي لوسيوس.

ألم يكن يصفها دائماً بكلمات يستعملها مالكو الخيول عندما يتحدثون عن أنثى الحصان؟ بدأ بالتحدث كذلك ما إن أصبحت في السادسة عشرة من عمرها. لطالما أسمعها أنها تتحدر من سلالة مميزة، ولديها بنية جيدة، وأنها ستكون زوجة جيدة لشخص ما. شخص يملك المال، ويستطيع أن يعيد الحياة إلى هذه المزرعة. هذا ما قصده بالفعل، مع أن أحداً لم يتجرأ على قول ذلك له.

بعد مرور عدة أشهر، أرسلها لوسيوس إلى مدرسة داخلية في شرق البلاد، ثم إلى الجامعة. عادت إلى المنزل عندما مرضت أمها، ثم رجعت إلى الجامعة بعد وفاتها، لتعود للمرة الأخيرة عندما أصبح لوسيوس على فراش الموت. والآن ها هي هنا، تحدق بالشخص الذي من المفترض أن تنجب أولاداً منه. الرجل الذي اشتراها من لوسيوس.

حسناً! لوكاس ريز لم يشترها. حتى إنه لم يعرف شيئاً عن الاتفاق. مع ذلك، ما زال الأمر مهيناً بالنسبة إليها. ما إن علمت بحضوره والفضل في ذلك يعود لجورج، اتصلت هاتفياً بثاديوس، وطلبت منه أن يقود سيارته على الفور ليأتي إلى هنا ليتسلم زمام الأمور.

اتبع ثاديوس اسلوباً جباناً، فأخذ يدور ويدور حول الحقيقة، ثم ترنح مبتعداً عنها، وهكذا أجبرت على القيام بالعمل بنفسها. وجدت نفسها تشرح للوكاس ريز لماذا هو هنا. وهذا أمر مخيف ومذل في آن معاً.

ساورتها رغبة بالضحك وهي ترى سمو الأمير الحائر، لكنها لم تستطع أن تضحك، فهي لا تزال تشعر بالإهانة. على الرغم من شعوره بالارتباك والغرابة، إلا أنه ما زال يبدو وسيماً وقوياً.

لوكاس ريز رجل شديد الوسامة. شعره أسود، عيناه بلون البندق، فكه قوي، وهناك نتوء صغير في أنفه يزيد من جاذبيته. لا بد أنه كسر أنفه في وقت ما

في الماضي. أتراه تعرض لحادث وهو يمتطي الخيل، أم حصل له ذلك جراء شجار بسبب امرأة؟ من الجيد أن تفكر أن امرأة ما قد تمكنت من إصابة الأمير بضربة مباشرة. كل جزء من هذا الرجل ينضح بالوسامة أيضاً، فهو طويل القامة، نحيل الجسم، قوي العضلات، وعندما عانقها... يا إلهي! عندما عانقها...

طرفت أليسا بجفونها، ولاحظت أن لوكاس ينظر إليها بحدة كأنه أفعى سامة تراقب فأراً في الحقل.

أخافتها نظراته، لكنها تفضل الموت على أن تدعه يعلم بما تشعر به. هي لا تعرف الكثير عن الرجال، وليست لديها رغبة بأن تعرف عنهم، فما تعلمته من خلال مراقبة إذعان أمها للوسيوس، كافٍ لها. لكنها تعرف الكثير عن الخيول، تعرف أن إظهار الضعف أمام حصان قوي يعني أن تضع نفسك في خطر مميت.

هكذا أجبرت نفسها على أن تكون قوية كالفولاذ أمام أسئلة الأمير الإسباني المحتمة. ذكرت نفسها أن لا علاقة لها مطلقاً بكل ما يجري، وعليه أن يفهم ذلك بصورة مباشرة.

- اشرحي عن نفسك.

سمعت أليسا صوته المنخفض ذا النبرة الآمرة، فنظرت إليه بعينين ضيقتين. ما زالت تذكر آخر مرة استعمل معها أحدهم فيها هذه النبرة. كانت يومها في الصف السادس، حين طلبت منها الآنسة أليسون أن تعلمها بالسبب الذي جعلها تضرب تد مارسدين على أنفه بقبضتها. أجابت أليسا: «لأنه اعتقد أنه يستطيع وضع يده علي، وينجو بفعلته».

وعلى الرغم من محاولة الآنسة أليسون ضبط نفسها، لم تستطع إلا أن تضحك.

لكن، لا أحد يضحك الآن.

رفعت أليسا رأسها عالياً، وقالت: «عذراً؟».

- قلت...

- سمعت ما قلته، لكنني لم أعجب بالطريقة التي قلته بها.

تقدم لوكاس خطوة إلى الأمام. لكنها تمكنت من البقاء ثابتة في مكانها، فهذا

أفضل لأنها ستتمكن بهذه الطريقة من إبقاء نظرها مثبتاً عليه.

قال بنعومة: «هذا يوم طويل جداً، عزيزتي، إنني متعب ومتوتر، كما أنني لم أتناول الطعام منذ الصباح، ولست بمزاج يسمح لي بسماع أي سخافات».

- آسفة لأنك وجدتنا نفتقد لأصول الضيافة.

قالت أليسا ذلك ببرودة، كأنها تسخر منه، ثم تابعت: «لكنني متعبة ومتوترة مثلك، وبفضل حضورك أيضاً، لم أتناول أي طعام. فمجرد معرفتي بوجودك هنا أفسد شهيتي».

شهقت ما إن أطبق بيديه على كتفيها.

- أنت سريعة جداً بإطلاق الشتائم.

- وأنت سريع جداً بإظهار طبعك الناري.

- أريد أجوبة عن أسئلتي.

- وأنا أريدك أن ترحل. إذا تعاونا، ربما يمكننا الحصول على ما نريده معاً.

كاد لوكاس ينفجر بالضحك، على الرغم من الغضب الكبير الذي يملؤه، يا إلهي! هذه المرأة قوية حقاً! هذا لا يعني أنها ليست خائفة، فعلى الرغم من تظاهرها بالشجاعة، يمكنه أن يشعر بأنها ترتجف تحت يديه. أهي خائفة منه حقاً؟

تمنى ألا تكون كذلك، صحيح أنها أغضبته، بل أثارت غيظه هي الكلمة الأقرب إلى الحقيقة، لكن لا رغبة لديه مطلقاً في إثارة خوف النساء، لا سيما النساء ذوات العيون الزرقاء والملامح الفاتنة.

يا إلهي! كيف تمكنت بسرعة من أخذ أفكاره بعيداً عن الموضوع الأساسي، مشتتة إرادته وعقله؟

- هذا أول كلام منطقي أسمعه منك، سنيوريتا.

رفع لوكاس يديه عن كتفيها وتابع: «إذاً تابعي... اشرحي عن نفسك... آه! آسف».

ابتسامة لا علاقة لها مطلقاً بالابتسام ظهرت على شفتيه، ثم أكمل باستياء: «ما قصدته، هل يمكنك التكرم بإخباري ما الذي قصدته بتلك الجملة الخفية المعنى؟ بأية طريقة اعتقد جدي أنه اشتراك».

قررت أليسا أن تتجاهل سخريته. حان الوقت للانتهاء من هذا الأمر.

- كما قال لك ثاديوس، جدك ووالدي غير الحقيقي وقعا اتفاقية. دفع فليكس إلى لوسيوس نصف المبلغ المتفق عليه.

كان لوكاس يراقبها من خلال عينين ضيقتين وحادتين.

- ومتى سيتم دفع النصف الثاني؟

- عندما يتم إنجاز الشرط الملزم.

- حسناً! إنني أنتظر. ما هو ذلك «الشرط الملزم»؟

- إنه... إنه... يقضي الشرط الملزم...

شعرت كأن لسانها قد التصق بسقف فمها. كيف يمكن لامرأة أن تخبر رجلاً أنه من المفترض أن يتزوج بها؟

تورد وجه ثاديوس نورتون، وقال: «أرأيت، أليسا؟ الأمر ليس بمنتهى السهولة في النهاية».

سار المحامي عبر الغرفة حتى وصل بالقرب من لوكاس، وقدم له الملف الذي أخرجه من حقيبته، يبدو أن بقاءه لدقيقتين بعيداً عن خط النار ساعده كي يستعيد شجاعته.

- إقرأ ذلك بنفسك، سمو الأمير، أظن أن الأمر أكثر بساطة بهذه الطريقة.

هز لوكاس رأسه، ثم أمسك الملف وأخرج منه رزمة من الورق، بعدئذٍ أدار ظهره إليهما وبدأ بالقراءة.

مرت نصف ساعة... بعدئذٍ استدار نحو المحامي قائلاً: «هذا عمل جنوني».

- إنه وثيقة زواج.

أظلم وجه لوكاس، وقال بغضب: «لا تثر غضبي، نورتون».

يبدو أن ذرات الشجاعة القليلة فارقت المحامي، فقال متلعثماً: «أنا... لا أحاول إثارة غضبك سيدي. أنا فقط... أذكر الوقائع. تلك الوثيقة...».

- مجرد مزحة.

رمى لوكاس الأوراق على المكتب، ورآها تقع على الأرض كأوراق الشجر الجافة، ثم تابع يقول: «لا أحد يوقع وثائق كهذه في هذه الأيام».

هزت أليسا رأسها موافقة، وعلقت: «هذا ما قلته تماماً، وأعلمت ثاديوس...».

قاطعها لوكاس بحدة: «أعلمت ثاديوس، آه! أنا متأكد من أنك فعلتِ... أم أنك أمليت عليه تلك الوثيقة بنفسك؟ هل استعنت بكتب من العصور الوسطى لتحصلي على وثيقة تمكنك من إيقاعي في الفخ بصورة محكمة؟».

سارت أليسا نحوه وعيناها تلمعان من الغضب: «أنا...؟ هل تعتقد أنني...؟ دعني أخبرك شيئاً ما، سيد ريز».

دمدم لوكاس: «اسمي الأمير ريز، أو سمو الأمير. افهمي ذلك جيداً».

- لا شأن لي مطلقاً بألقابك سمو الأمير، حتى إنني لم أعرف بها من قبل، هل تعتقد حقاً...؟ هل تعتقد أنني أريد أن أربط اسمي باسمك، حتى على قصاصة من ورق؟

توقفت أمامه مباشرة، ثم رفعت يدها مشيرة بأصابعها الأربعة إلى وسط صدره، وهي تتابع: «أبداً! هل تفهم ذلك؟ آه! أيها الحاكم العظيم... لن يحصل ذلك ولو بعد مليون سنة... ولو بعد مئة مليون سنة... بل إلى الأبد!».

يعرف لوكاس جيداً كيف يمكنه إيقاف سيل تلك الكلمات الغاضبة التي تطير من فمها الجميل. كل ما عليه القيام به هو أن يضمها إليه، ويدفن يديه في شعرها ويعانقها.

آه، يا إلهي! كم يرغب في القيام بذلك، كم يرغب في مراقبة عينيها وهما تمتلآن بالغضب، ثم يراقبهما وهما تمتلآن بالشوق: هل هو مجنون؟ لقد قرأ للتو وثيقة مليئة بالحيثيات القانونية المعقدة، والتي تلزمه بزواج مدبر بينه وبين أليسا مونترو ماكدونوف. فكر بضيق أن الاسم الأول لعائلتها يعطي تفسيراً واضحاً لذلك الغضب والطبع الناري. لقد اكتشف للتو أن جده المحب، المتواطىء والمدبر للمكائد، وربما الخرف أيضاً، قد رهن اسمه وثروته لحرة برية في تكساس، وها هو يرغب الآن في معانقتها...

ما يحتاجه فعلاً هو الخروج من مستشفى المجانين هذه، يجب أن يحصل ذلك الآن على الفور وليس غداً.

قال: «هذا كله لن يوصلنا إلى أي مكان».

- استنتاج رائع!

نظر إليها بغضب، لكنه قال بهدوء: «لا تحاولي إثارتي».

بدأت أليسا بالكلام، ثم بدا بوضوح أنها فكرت أن من الأفضل لها ألا تفعل، فالمرأة ليست حمقاء.

- أنا متأكد من أنك ونورتون اعتقدتما أن هذه الوثيقة عمل ذكي جداً. ولا أدري كيف تمكنتما من جعل جدي يوقع على... على هذا الكلام السخيف والترهات القانونية.

شهقت أليسا: «أنا؟ أنا لا علاقة لي مطلقاً بهذا كله!».

سارع نورتون أيضاً إلى إيضاح الأمر: «وأنا أيضاً سيدي... لست أنا من وضعها. قام محامو جدك بمعظم العمل، ثم أرسلوا الأوراق إليّ، حيث وقعها موكلي أمام كاتب العدل، ثم أرسلناها إلى إسبانيا ليوقع عليها جدك أيضاً، وبعد ذلك...».

ضرب لوكاس بقبضة يده على المكتب مرة ثانية مفكراً بعبوس أنه بعد الانتهاء من هذه المسرحية، كل هذه المفروشات ستصلح طعاماً للنار.

- لا أملك أدنى اهتمام بالخطوات التي اتبعت، نورتون! أنا أتحدث عن...

ما كانت تلك الجملة؟ أمضى لوكاس أربع سنوات في جامعة يال، ولديه مكتب في نيويورك، وأميركا تعتبر اليوم بلده الثاني، لكن اللغة الإنكليزية خانته في تلك اللحظات.

- ...المكيدة عن المخطط اللعين الذي وضعته أنت وماكدونوف وهذه الآنسة الساحرة، أتحدث عن المؤامرة.

اقتربت أليسا منه أكثر، وهذه المرة كادت تحدث ثقباً في صدره بإصبعها وهي تقول: «مؤامرة؟ جدك ووالدي اتفقا معاً على... على بيعي لك، وأنت تتهمني

بحبك مؤامرة؟».

شهقت أليسا ما أن أمسك لوكاس برسغها، وأدار ذراعها إلى ما وراء ظهرها. تصرفه هذا جعلها تقف على رؤوس أصابعها، وتندفع بجسدها فجأة نحوه.

جاءت ردة فعله فورية، فتصلبت عضلاته بتوتر على أثر الاحساس بها، وقال بصوت ناعم ومنخفض، تستطيع وحدها أن تسمعه: «أليست ردة فعلي هذه هي الغاية المنشودة لك، عزيزتي؟ تضعين الطعم أمام الطريدة، متظاهرة بالبراءة، ثم تظهرين غضبك بطريقة ماهرة تجعل أي أحمق مسكين يصدقك؟».

قالت من بين أسنانها: «لا بد أنك معتوه».

ابتسم لوكاس وضمها إليه أكثر.

- لا تتظاهري بالبراءة، عزيزتي. فأنا لست أحمق. أنا لا أشتري أية امرأة... وإن فعلت ذلك، فلن أدفع اسمي وثروتي لها. إن فكرت بأن ذلك ممكن فأنت تهينين ذكائي.

قالت أليسا بصوت مرتجف: «ما فكرت به هو أنك بغيض جداً، ولا تستطيع الحصول على امرأة بمجهودك الخاص. وكما هو واضح، كنت على حق».

شهقت ما إن اشتد الضغط على رسغها.

قال نورتون بسرعة: «أيها الأمير لوكاس! من فضلك سيدي، لقد أسأت الفهم».

ارتجف صوت المحامي، ففكر لوكاس برضى أنه يبدو كرجل يراقب عود ثقاب مشتعل يقترب ببطء من صندوق من الديناميت.

أضاف الرجل بسرعة: «الآنسة ماكدونوف... أليسا تقول الحقيقة. كانت تلك فكرة جدك وموكلي».

- أجد من الصعب تصديق ذلك.

- إنها الحقيقة سيدي، وبإمكان الأمير فليكس تأكيد ذلك. لم تعرف الآنسة ماكدونوف أي شيء عن الاتفاق حتى وفاة لوسيوس.

- عندما نقلت إليها الأخبار السعيدة بأنها ستصبح أميرة. أهذا ما حصل؟

ابتسم لوكاس ببرودة وتابع: «لكنك فتاة ذكية بالطبع، ولا بد أنك علمت أن من السهل أن تفلت هذه الفرصة الثمينة من بين أصابعك. أخبريني كم بذلت من الجهد لتتوصلي إلى هذه المكيدة... لكي تتأكدي من عدم هروبي؟».

قال نورتون بنبرة متوسلة: «سيدي... اتصل بجدك... دعه يؤكد لك قصتي».

- ولِمَ يجب أن أتحمل هذه المشقة؟ لن أعمل على إخفاء أية صفة على هذا العقد المهزلة، نورتون، لقد تمكنت من خداع رجل عجوز، لكن...

- دفع جدك نصف المبلغ المقرر، سمو الأمير، النصف فقط وأنا لم...

- نصف المبلغ هو أكثر مما تستحقه هذه الأرض المعزولة.

أفلت لوكاس يد أليسا، فتعثرت متراجعة إلى الوراء، وراحت تحف آثار أصابعه التي ظهرت في لحمها الطري.

تابع قائلاً: «إن كنت تريد المزيد، يمكنك مقاضاتنا على ذلك».

قال نورتون بهدوء: «ألح عليك بشدة أن تتصل بالأمير فليكس، فلا رغبة لدي بمقاضاتك سيدي، لكنني ملتزم بتحقيق رغبات موكلي حتى النهاية».

بدا بوضوح أن المحامي المسكين ما زال يرتجف، لكنه مصمم على القيام بمهمته حتى النهاية، وهذا ما جعل لوكاس يتوقف للحظة مفكراً.

اعترف لوكاس _ ولو لنفسه فقط _ أن فليكس قد يوافق على هذا الكلام السخيف، لكن من غير الممكن أن يوافق جده على اتفاقية زواج كهذه. لا بد أن هذا أمر أقدم عليه ماكدونوف أو نورتون أو ربما المرأة نفسها فأضافه إلى الاتفاق.

على الأرجح أن فليكس وافق على شراء المزرعة بسعر يضاعف سعرها الحقيقي، فهو رجل عجوز، لم يعد يتمتع بصحة جيدة، كما أن لوسيوس ماكدونوف كان صديقه.

أما ما يتعلق باتفاقية الزواج، الأمر الذي يستمر هذان المجنونان بتسميته الشرط الملزم، فهو مجرد مزحة. سيذكرها لفليكس فقط كي يضحكه.

أخذ لوكاس هاتفه النقال من جيبه. لا بد أنها ساعة مبكرة جداً في بلاده لكنه

www.elromancia.com

لا يهتم مطلقاً لذلك.

حان الوقت ليدرك حقيقة هذا الأمر. قال بنبرة آمرة: «أخرجا من هنا».

سرعان ما همّ المحامي بالخروج، لكن أليسا بقيت في مكانها، وقد شبكت ذراعيها فوق صدرها. قالت ببرودة: «هذا الأمر يتعلق بي تماماً كما يتعلق بك، لذلك فلن أخرج».

أمال لوكاس رأسه وقال ببرودة مماثلة: «كما تشائين عزيزتي، هكذا سأتمكن من رؤية وجهك عندما يضحك جدي مما سميته الشرط الملزم».

طلب لوكاس الرقم الخاص لهاتف جده. دق الهاتف لفترة طويلة، وأخيراً أجابه صوت لا يشبه الصوت الذي ينتظره. قال الصوت بحذر: «من المتكلم؟»

أجاب لوكاس بغضب: «الأمير لوكاس، من أنتِ؟»

- أنا...

سمع لوكاس بعض الغمغمة غير المفهومة، ثم صوت فليكس المألوف لديه.

- لوكاس!

- أجل، جدي. من كانت تلك؟

- لا أهمية للأمر... سكرتيرة جديدة. أين أنت؟

- أنا في المكان الذي أرسلتني إليه: المزرعة الكبرى... إنه اسم مغلوط بالكامل، إذ كانت هناك مزرعة في ما مضى.

- وما رأيك بني؟

- أخبرتك للتو... المكان في حالة مرعبة. المباني تكاد تنهار، والأرض قاحلة، وليس هناك أثر للمواشي.

قال فليكس بنفاد صبر: «أعرف ذلك، ماذا عن البقية؟».

- أي بقية جدي؟ هل تقصد الفرس؟ ليس هناك فرس أيضاً. لا شيء هنا سوى محام يصر على أننا ندين له بسعر مضاعف لثمن الأرض، وامرأة بحاجة إلى دروس في السلوك الحسن.

ساد الصمت لفترة، ثم ضحك فليكس بصوت منخفض، قبل أن يقول: «هذا ما أخبرني به والدها، لوكاس، السؤال هو: هل أنت الرجل القادر

على إعطائها هذه الدروس؟».

ارتفع الشعر في مؤخرة عنق لوكاس، واستدار نحو أليسا التي كانت تقف، مستقيمة الظهر، وهي تشبك ذراعيها، وقد رفعت ذقنها لدرجة بدت مستحيلة بالنسبة له.

قال لوكاس بنعومة: «جدي، ما الذي تقصده؟»

- إنه سؤال بسيط، صغيري: هل أنت رجل بما فيه الكفاية لتروض هذه الأنثى؟

تبدلت نبرة فليكس، وظهر بعض المكر فيها وهو يتابع: «مع أنني فهمت أن ابنة صديقي القديم يمكن وصفها بالمهرة أكثر منها بالفرس، هل توافق على ذلك، لوكاس؟».

أبعد لوكاس الهاتف عن أذنه، وحدق إليه كأنه سيرى وجه فليكس إذا ما حدق بشدة، ثم ارتمى على الكرسي. أعاد الهاتف إلى أذنه، وقال مستخدماً اللغة الإسبانية هذه المرة: «هل تعلم بشأن عقد الزواج؟».

- بالطبع!

- لكن.. لماذا؟

- أنت تعرف السبب لوكاس، فأنت لم تعد صغيراً.

فكر لوكاس، إنني في الثانية والثلاثين، هذا صحيح، لكنه يشعر الآن وكأنه في الثانية عشرة من عمره فقط. تابع يقول بقوة: «أنا في الثانية والثلاثين، وقبل أن تكرر الحديث الذي قلته سابقاً. أعرف ما هي مسؤولياتي، وأعلم أن من واجبي أن أنجب أولاداً ليحملوا اسم عائلة ريز، وأعلم...».

- ربما من الأفضل أن تقول إنني لم أعد يافعاً.

- جدي...!

- إنها من سلالة ممتازة، وهي جميلة، كما أنها تتمتع بصحة جيدة.

استعاد فليكس نبرة المكر السابق وهو يتابع: «وقد أكد لي والدها أنها عذراء».

رمى لوكاس نظرة أخرى باتجاه المرأة. عذراء! إنها امرأة تشتعل كاللهب بين

www.elromancia.com

ذراعي الرجل، أليست تلك مجرد كذبة أخرى؟

- . . . . يسأل، لوكاس؟

قال لوكاس وهو يحاول أن يبدو هادئاً: «آسف جدي لم أسمعك. . ما الذي قلته؟».

- قلت: ما الذي يمكن للرجل أن يسأل عنه أكثر من ذلك؟

قال لوكاس بحزم: «آسف جدي، لن أتزوج من تلك المرأة».

بدا له كأن صدى كلماته تلك يتردد في الغرفة. رمى نظرة قاسية باتجاه أليسا ماكدونوف، ولاحظ أن تعابير وجهها لم تتبدل. بالطبع لا! فكر وهو يشعر بالارتياح أنها لا تفهم كلمة واحدة من اللغة الإسبانية.

- أنت رجل راشد لوكاس، افعل ما يحلو لك.

- حسناً! سأراك غداً إذاً، في وقت متأخر. . .

- حسناً، إذاً ليس عليك أن تدفع أي مبلغ من المال إلى المحامي الموكل بتنفيذ الوصية.

هز لوكاس رأسه بعد أن تبين له أن فليكس سليم العقل تماماً، وهذا أمر مريح.

- بالطبع! فهمت، فقد دفعت أنت المبلغ الكافي منذ البداية.

- إنه جزء من الاتفاق لوكاس. هل قرأت الاتفاقية؟ اقرأها من جديد، وبهدوء أكثر هذه المرة، ستدرك أنه إذا لم يحصل الزواج، فأنت لا تدين لهم بشيء.

- هذا خبر سار.

- صحيح، طالما أنك فهمت.

سعل فليكس، وبدا سعاله عميقاً. استمر السعال لوقت طويل وظهر الاضطراب على وجه لوكاس.

- جدي؟ هل أنت بخير؟

مرة ثانية سمع تلك الغمغمة الغامضة، ثم عاد جده ليتكلم معه. لم يكن يسعل الآن لكن صوته بدا ضعيفاً.

قال الرجل بضيق: «أنا بخير، أين كنا؟ آه. . نعم. أنت لن تعطي المال

لثاديوس نورتون. سيستولي المصرف على المكان الآن ليتمكن من الحصول على القسم الباقي من المال، وهناك مستثمر متشوق للحصول على تلك الأراضي».

- ما يفعله المصرف ليس من شأننا، جدي.

- أوافقك الرأي، فهذا الأمر يعود إلى الفتاة، فهي تشعر بارتباط عاطفي بالأرض، لكن هذا أيضاً لا يعنينا.

نظر لوكاس إلى أليسا من جديد. لم يظهر على وجهها أي تعبير، لكنه رأى عينيها تلمعان بدموع لم تنهمر بعد.

هل فهمت ما الذي يقوله؟ من يهتم لذلك على أي حال؟ بالطبع ليس هو. إن كانت تحب المكان كثيراً، فلماذا لم يتركه لها والدها؟ إنها ممثلة جيدة هذا كل شيء، يمكنها أن تبدو مشتعلة كالنار عندما تحتاج إلى ذلك، وباردة كالثلج عندما يتطلب الوضع برودة. لكنها بدت متقدة المشاعر عندما عانقها، فهل كان ذلك نوعاً من التمثيل، أم أنها شعرت بالانجذاب نحوه؟ هل تمكن عناقه من تحريك مشاعرها، فاستجابت له بشغف؟

قال فليكس وهو يتنهد: «حسناً! قمت بما أستطيع القيام به، قلت للوسيوس إن الفتاة لن تخسر الأرض، لأنها ما إن تصبح زوجتك حتى تتمكن من دفع المبالغ المتأخرة، وستصبح الأرض ملكاً لها كما هي لك، لكن لا تهتم للأمر».

حكّ لوكاس وجهه بيده وقال: «جدي. . .!»

- لا أستطيع أن أجبرك على تنفيذ بنود الاتفاقية بني. أتفهم ذلك، إنها خيبة أمل لي، لأنني لم أستطع تحقيق رغبات صديقي المتوفي، لكن. .

- جدي، لا بد من وجود وسيلة لتخطي ذلك.

- أخشى أن أقول إن ليس هناك أية وسيلة. لا بأس لوكاس، أنت لست مسؤولاً عن الفتاة.

- لا! بالطبع، لا!

- إنها من ضمن مسؤوليات المحامي، وأنا متأكد أنه سيهرع لمساعدتها. لا بد أنك قابلته، أليس كذلك؟ رجل قصير، بدين ويتصبب عرقاً.

www.elromancia.com

استدار لوكاس ونظر إلى ثاديوس نورتون، الذي كان يمسح جبهته.

- ماذا تعرف عنه؟

- أخبرني لوسيوس أن نورتون يهتم بالفتاة... اهتمام حقيقي، أتفهم ما أقصده؟

يا إلهي! كيف يمكن لأمر بسيط كهذا أن يصبح بمثل هذا التعقيد؟

- أتعني أن نورتون يريد المرأة لنفسه؟

قال لوكاس ذلك وهو لا يزال يتحدث بالإسبانية، ويراقب أليسا. هل ازداد تورد خديها؟ لا، لا بد أنه يتخيل ذلك.

- أجل، لكن هذا هو الحل المثالي. نحن لا ندفع المال المتبقي، وأنت لا تتزوج، والفتاة يهتم بها المحامي.

لم يقل لوكاس أية كلمة للحظات قليلة، بعد ذلك تعمد أن يقول بوضوح: «جدي، دخلنا في هذا الاتفاق من أجل عمل جيد...»

- نحن؟ أنا من فعل ذلك لوكاس، وليس نحن.

قال لوكاس، بضيق: «عائلة ريز من قامت بذلك، لذلك سأخبرك ما الذي سأفعله، سأمزق الاتفاقية، الشرط الملزم وكل ما سواه، وببساطة سأقدم لها أو للمحامي... سأرى من هو المناسب أكثر، المال المطلوب. وهكذا ستتمكن من الاحتفاظ بالمزرعة، سنعتبر عملنا هذا هدية لذكرى صديق قديم».

- لا!

رفع لوكاس حاجبيه وقال: «ولِمَ لا؟»

- أنا ولوسيوس عقدنا اتفاقاً.

- تباً! أنا أعلم ذلك.

أخذ نفساً عميقاً، قبل أن يتابع: «اسمع! يمكننا القيام بذلك، كعمل من أعمال الإحسان، جدي».

- أصغ إلي لوكاس، يجب أن تلقي نظرة أخرى على الاتفاقية، إنها محددة ودقيقة جداً. إن لم يحدث الزواج، فلن يكون هناك دفعة أخيرة. ستضيع المزرعة.

شعر لوكاس بنبض مؤلم ينقف خلف عينه اليسرى، فهو لم ينم، ولم يأكل، ولم يشعر بلحظة راحة، لا عجب أن رأسه يؤلمه.

- جدي، ربما أنت لم تفهم اقتراحي، إنه نوع من الإحسان...

ردت أليسا بحدة: «أنا لا أريد هذا النوع من الإحسان اللعين».

حدق لوكاس بها، أتراها فهمت كل الحديث الذي دار بينه وبين جده؟

فجأة سمع سعالاً قوياً عبر الهاتف، تلاه سعال آخر وآخر... لم يسمع لوكاس جده يوماً يسعل على هذا النحو. بدا له كأن جده يغرق.

- جدي! جدي!

تلاشى صوت السعال، وسمع صوت آخر عبر الهاتف.

- أنا آسفة أيها الأمير لوكاس، لكن جدك لا يستطيع متابعة هذا الحديث.

قال بصوت كالزئير: «ما الذي تقصدينه؟ ما الذي يحدث؟ من أنت بحق السماء؟».

- أنا ممرضته سيدي، و... يا إله السماوات! اتصلي بسيارة الإسعاف فوراً، ماريا. هيا! بسرعة.

انتهى الاتصال بسماع عدد من الأصوات القلقة. حاول لوكاس جاهداً أن يسيطر على نفسه، ثم استدار مواجهاً أليسا ماكدونوف.

قالت: «سمعت كل شيء.. كل كلمة، فأنا أتحدث لغة بلادك، هل أنت متفاخر إلى درجة تعتقد معها أنني لا أستطيع القيام بذلك؟ كما أنني لا أريد أي إحسان منك. لا أريد منك أي شيء.. لا أريد...».

- علي العودة إلى إسبانيا في الحال.

- حسناً! هذا أمر جيد، لأنك...

- وأنت ستأتين معي.

- لا تكن مغفلاً.

- لا وقت لدي لأضيعه في جدال عقيم، هناك مسائل يجب حلها، ولا أستطيع البقاء هنا للقيام بذلك.

- اسمع! أنت تقدم عذراً سخيفاً عن...

www.elromancia.com

امض لوكاس جزءاً من بعد الظهر ومعظم المساء مع هذه المرأة، وهي ما زالت غريبة بالنسبة إليه، لكنه تعلم أمراً وحيداً وأكيداً عنها: هو يعرف كيف يجعلها تصمت... ضمها بسرعة بين ذراعيه وجذبها نحوه ليعانقها.

قاومته أليسا بشدة، ولم يفاجئه ذلك، لكنها ما لبثت أن تأوهت، وأطلقت تلك التنهيدة التي تنبئه باستسلامها لعناقه. استمر في معانقتها لثانية واحدة فقط، ليشعر بجمالها وشوقها، ثم أمسك بكتفيها ونظر إلى عينيها الغامضتين.

- هل ستمشين معي، أم يجب علي أن أحملك؟

- لا يمكنك القيام بذلك!

ضحك لوكاس، وسرعان ما رفع أليسا بين ذراعيه وحملها إلى خارج المنزل.

٦ - الطريق إلى الجحيم

ماالذي يجعل الرجال يعتقدون أنهم يملكون الحق باقتحام حياة المرأة وتولي القيادة فيها؟

تصورت أليسا أن هذا ما هي الحال عليه منذ القدم، فبذلك يمكنها تفسير طريقة تعامل والدها... والدها بالتبني مع أمها، وذلك يفسر معاملته لها ومحاولته التحكم بحياتها ومستقبلها، معتقداً أنه يستطيع أن يبيعها، كما كانوا يفعلون منذ مئات السنين.

والآن ها هي محمولة بين ذراعي غريب متفاخر، وضيف غير مرغوب فيه في هذا المنزل الذي يجب أن يكون ملكها وحدها. في بادىء الأمر أذهلها الاحساس بذراعيه حولها، لكن ذلك لم يدم لوقت طويل. عندما بدأ لوكاس بالسير بعيداً عن الغرفة، سمعت محاميها عديم النفع يتفوه باعتراضات ضعيفة وهو يسير مرتعباً وراءهما. تحولت صدمة أليسا إلى غضب جامح، فصرخت به: «هاي! ماذا تعتقد أنك تفعل؟».

لم يجبها الرجل معتقداً أنه سيد الكون، واستمر بالسير نحو الباب الأمامي.

رفعت صوتها أكثر: «انتظر قليلاً! قلت...».

حركها بين ذراعيه، ثم فتح الباب وخرج إلى الشرفة، وهو يقول: «سمعت ما قلته».

سُمع صوت صرير الخشب القديم الذي يغطي أرضية الشرفة تحت قدميه، وهو يسير عليه شاقاً طريقه نحو الدرج. فكرت أليسا بغضب صارخ: إلى أين؟ وسرعان ما بدا لها الجواب واضحاً جداً.

إنه يأخذها إلى سيارة ثاديوس الكاديلاك السوداء.

www.elromancia.com

رفسته، وشتمته. ضربت كتفيه القويتين بكلتا يديها، إلا أنها بدت كأنها حشرة مزعجة تضايقه دون أن تتمكن من إلحاق الأذى به.

صرخت به: «تباً لك! لا يمكنك أن تفعل ذلك».

أنزلها الأمير لتقف على قدميها بجانب السيارة.

- نورتون! أعطني المفاتيح.

بدا صوته الآمر مليئاً بالسلطة، وهذا ما شعرت به أيضاً من خلال ضغط يده على يدها وهو ممسك بها لتبقى بجانبه. ألقت أليسا نظرة يائسة نحو المحامي الذي كان يراقب المسرحية غير المنتهية فاغراً فمه الكبير. قالت: «ثاديوس، قل شيئاً ما!».

حدّق ثاديوس بها، ثم حاول أن يقول بصوت واضح.

- سمو الأمير... سموك... حقاً، لا أفكر أن...

أجاب لوكاس ببرودة: «هذا صحيح. لو كنت تفكر لما كتبت مطلقاً تلك الاتفاقية».

- قلت لك، لست أنا من فعل ذلك، بل محامو جدك ماديرا، فاسكوز، سترلنغ وغولديرغ في مدريد ولندن ونيويورك....

قال لوكاس مخاطباً أليسا: «هذا الرجل لا فائدة منه، ولو كان قديراً حقاً، لما كنت الآن في هذا المأزق. ونصيحته آخر ما تحتاجين إليه».

- أنت فقط تريدني أن أخسر المزرعة!

- لقد خسرتها وانتهى الأمر أليسا. تم عقد البيع، وليس لديك أي حق في الادعاء بأنها لك.

تورد وجهها من الخجل، وعلقت: «إلا إذا تزوجت بك».

أجاب بحدة: «لا مجال مطلقاً لذلك. إن اعتقدت أنني سأسمح لنفسي بالوقوع في مكيدة رجل عجوز...

- أأنت وقعت في مكيدة؟ أنا من نُصب لي فخ.

حاولت أن تخنق ضحكة ظهرت على فمها قبل أن تتابع: «ما يحدث يشبه شخصاً استيقظ ووجد نفسه يحدق في فيلم قديم سيىء: «السيد الحاكم

والخادمة...».

- لكن تذكري، ما من بطل هنا عزيزي. أنا أرفض القيام بهذا الدور.

ابتسم لوكاس بانزعاج وتابع: «أما بالنسبة إلى الخادمة... ربما جدي صدق قصة طهارتك لكنني لست أحمق كي أخدع بسهولة».

ازداد لون وجهها احتقاناً. وردت عليه: «هذا أفضل. إن كنت عذراء أم لا، فهذا أمر لا يعنيك البتة».

- أنا لا أصدق هذه الترهات عزيزتي، وكل ما أعرفه هو أن الزواج بي هو ما تسعين إليه بالتحديد.

يا إلهي! يا لوقاحة هذا الرجل!

- هذا ما تتمناه أنت أيها المتكبر...

ابتسم لوكاس، وقال: «آه! عزيزتي، تقولين ذلك بقناعة تامة».

- فقط... ارحل من هنا، وانس أنك أتيت يوماً إلى هذا المكان.

انتفضت عضلة في وجهه وظهر نبض فيه.

- لم أرغب في شيء في حياتي كرغبتي بالرحيل بعيداً وأنا أعلم أنني لن أراك أبداً من جديد.

- يمكنك القيام بذلك. استدر وانطلق بعيداً.

- لا أستطيع. محامو جدي كتبوا هذا العقد اللعين لأنه أراد منهم أن يفعلوا ذلك، والآن هو مريض...

أصبح صوته أكثر قساوة وهو يتابع: «... وأعتقد أنه يحتضر. لكنه تعهد بالتزام هام جداً بالنسبة له، وأنا لن أدير ظهري لهذا الالتزام قبل أن أجد وسيلة يوافق عليها».

- لست بحاجة لأن تأخذني معك لتتمكن من القيام بذلك.

- لسوء الحظ، أنا مجبر على اصطحابك، وقد شرحت لك السبب.

- لم تشرح لي أي شيء.

- هذه مضيعة للوقت. اصعدي إلى السيارة. نورتون! لآخر مرة أقولها لك: «أعطني مفاتيحك».

www.elromancia.com

ابتسم ببرودة وأكمل: «. . . إلا إذا كنت تفضل أن تفسر الدور الذي قمت به في هذا العقد لمحكمة العدل في تكساس».

نجح لوكاس تماماً في الحصول على مبتغاه. شحب وجه المحامي، ورأى لوكاس ذلك بوضوح. وكذلك فعلت أليسا.

قالت بيأس وغضب: «ثاديوس، قل لهذا الأحمق إنه لا يستطيع إجباري على القيام بذلك».

أجاب لوكاس وقد طغى على نبرته شيء من المرح: «هذا الأحمق هو أملك الوحيد».

- أنت لست أملي! أفضل أن أخسر كل شيء على الزواج بك.

- ألم تصغي إلى ما قلته؟ أنت لن تتزوجي بي إلى أن أسمح بأن أقدم نفسي ضحية على مذبح الزواج.

- أنت ضحية؟ وماذا عني؟ هذا. . . المخطط المقرف من صنع جدك العجوز المخيف. وهو. . .

شهقت ما إن أمسك لوكاس بذراعيها، قائلاً بنعومة: «راقبي ما تقولينه، وتذكري القضية الأساسية. فالمزرعة الكبرى هي في قلب القضية».

- أنت لا تهتم البتة للمزرعة.

- أنت على حق عزيزتي. لا أهتم لها مطلقاً.

أصبحت تعابير وجهه أكثر قساوة وهو يكمل: «لكن جدي يقول إنك تهتمين لها، واحتراماً لوعد قطعه لصديق قديم، هو أيضاً مهتم بها. وهذا يعني أن مسألة إيجاد طريقة للخروج من هذا المأزق أمر ملقى بأكمله على عاتقي».

شعرت أليسا بدوار في رأسها. إن رفضت الذهاب معه ستضيع المزرعة، وإن ذهبت معه ربما. . . ربما ستتمكن من إنقاذها. قالت بصوت مرتجف: «هذا الأمر أصبح أكثر تعقيداً».

ضحك لوكاس بصوت مرتفع.

- ماذا. . .؟ إن وافقت على الذهاب معك؟ ما الذي سيحدث؟

- سأقنع جدي أن العقد غير ملزم، وسأكتب شيكاً بالمتأخرات تمكنك من

تسديد قيمة الرهن، ثم أنقل صك الملكية لك، ونتظاهر أننا لم نتقابل يوماً.

حدقت به، وقالت: «هل يمكنك أن تقوم بذلك حقاً؟».

قال باقتناع يفوق ما يشعر به فعلاً: «بالطبع!».

- وهل ستبدأ عملك هذا باختطافي؟

- من الصعب القول إن هذا اختطاف عزيزتي. ففي النهاية، أنتِ خطيبتي. هذا ما ينص عليه الشرط الملزم اللعين.

- نحن لا نمزح هنا! أنا لا شيء بالنسبة لك وأنت تعرف ذلك.

- أنت على حق، وأنا أضيع وقتي. لذلك قرري. . . إما البقاء هنا أو الذهاب معي. تعبت من هذا النقاش.

فتحت أليسا فمها لتجادله، لكن. . . تجادله بشأن ماذا؟ الأمير المغرور على حق هذه المرة. لقد تحدثا عن المشكلة بما يكفي، ولا أحد منهما اقترب من أي حل ممكن. نظرت إلى ثاديوس. إنه على حق بشأنه أيضاً، فمحامي والدها لا فائدة ترجى منه.

- نعم أم لا، عزيزتي؟ هل أتركك هنا، أم أنك ستأتين معي؟

مرت غيمة فوق سطح القمر، ألقت ظلاً داكناً على كل شيء تقريباً إلا وجه لوكاس ريز القاسي. وارتجفت أليسا لرؤيته.

هذا الغريب اقتحم حياتها فجأة، واتهمها أنها تعرف كل شيء عن العقد، وأنها تريد الزواج به من أجل ماله ولقبه. وأنها. . . بكلمات أخرى، ماكرة ومدبرة للمؤامرات وجشعة. ما الذي سيقوله لو أنها أخبرته أن قلبها كاد ينفطر عندما علمت أن الأرض لن تكون لها، وأن هذه الأرض هي كل ما بقي لها من أمها، وأن رؤية الأرض تُملأ بالأرصفة، والمخازن القديمة والاسطبلات تهدم، ليحل مكانها ما يسمى بالمنازل الحديثة، سيحطم قلبها من جديد؟

تلك أسئلة سخيفة بالنسبة إليه بلا شك، فلوكاس ريز لن يقول أي شيء، بل إنه لن يصدقها.

حسناً! لِمَ عليها هي أن تصدقه؟ قال إنه سيأخذها معه لأنه يريد إقناع جده

www.elromancia.com

بأن العقد غير ملزم لأي منهما، لكن هل هذه هي الحقيقة؟ ولِمَ عليها أن تثق به؟

قد يفعل أي شيء يسيء لها، ما إن تغادر الأمان الذي تشعر به في منزلها وفي بلادها.

- حسناً؟!

بقيت تعابير وجهه غامضة، وبدت عيناه كبركتين من الظلام. إنه وسيم جداً ومثير للخوف، كما أن مجرد التفكير بقدرته وبكل تلك القوة التي يملكها مركزة الآن عليها جعلت دمها يتدفق بسرعة أكثر في عروقها. وخزت الدموع عينيها، فضغطت عليها لتمنع تساقطها. دفاعها الوحيد الآن هو قدرتها على إقناعه أنها لا تخافه مطلقاً. قالت، وهي تحاول جاهدة أن تبدو هادئة: «إن كنت سأذهب معك، عليك أن توافق على أمور محددة».

- أتعنين شروطاً ملزمة أخرى؟

بدا صوته ناعماً كالحرير، لكنها سمعت حدة تظهر مدى سخريته مما تقوله.

قالت: «بل شروط محددة».

- مثل ماذا؟

- عليك أن تعاملني باحترام.

رفع كتفيه بلا مبالاة، وقال: «اعتبري الأمر منتهياً».

- وعليك ألاّ تلمسني مطلقاً.

أطلق لوكاس ضحكة.

- هل تعتقد أن ما يجري أمر مضحك، وأن بإمكانك أن تعانقني في أي وقت تريد؟

- أعتقد أنك متطلبة جداً...

أصبحت عيناه باردتين وهو يتابع: «... لديك الكثير من الشروط، والشروط الملزمة.. سمها ما شئت. هل ستأتين أم لا؟».

اجتاحها إحساس قوي من الخوف. فالذهاب معه أمر خاطىء، بل هو جنون. إنه...

- نورتون! المفاتيح أيها الرجل. وإلا سآخذها منك بالقوة.

سرعان ما طارت المفاتيح راسمة قوساً في الظلام لتستقر في يدي لوكاس المنتظرتين.

- حان وقت القرار عزيزتي. سأغادر فوراً، معك أو بدونك.

لم تتحرك قدماها. فرفع لوكاس كتفيه، وصعد إلى وراء المقود.

قالت وهي تتلفظ بالكلام بسرعة: «حتى لو... حتى لو أردت الذهاب معك، فلا يمكنني ذلك حتى أحضر حاجياتي».

- أية حاجيات؟

- ثيابي، فرشاة أسناني... وأشياء أخرى.

قالت ذلك وهي تشعر بالانزعاج من خيبة الأمل واليأس البادين في صوتها.

- أؤكد لك أنك ستحصلين على كل ما تحتاجينه عندما نصل إلى بلادي.

إنه الجواب المتفاخر الذي كانت تتوقعه.

- حقيبة يدي، إذاً... محفظتي... بطاقة الهوية... ألن أكون بحاجة إلى جواز السفر؟

مرة جديدة ضحك لوكاس. آه! بالطبع، لِمَ لا يضحك؟ عليها أن تعترف أن من المستحيل أن تحتاج امرأة تسافر مع هذا الرَجل إلى أي شيء.

قال وهو يمد يده ليفتح الباب من جهة السائق: «الفرصة الأخيرة، نعم أم لا؟».

جعل لوكاس الأمر يبدو وكأن لديها خيار، لكن كليهما يعلمان أن لا خيار أمامها. شعرت أنها كرهته الآن أكثر مما كرهته لأنه عانقها، ولأنه جعلها تشعر بالدوار بسبب عناقه.

هدير محرك سيارة الكاديلاك الذي انطلق في الليل الهادىء ملأ قلبها بالرعب، وشعرت به ينبض في حلقها. ولأنها أدركت أن التفكير بالأمر لمدة طويلة ربما يكون قراراً خاطئاً، انزلقت بسرعة على المقعد المجاور له، وأغلقت الباب.

- فقط يجب أن تفهم شيئاً واحداً.

www.elromancia.com

ارتجف صوتها، فشعرت بانزعاج كبير لإظهارها إشارة صغيرة من الضعف، فتابعت بثقة أكبر: «لو كانت هناك طريقة أخرى، لما ذهبت معك».

قال وهو يبتسم بضيق: «ملاحظة في محلها تماماً عزيزتي، وإن كنت لا أصدقها تماماً».

يا إلهي! كم رغبت بأن تندفع لتضربه على ذلك الفك الوقح، لكن ذلك سيكون عملاً غبياً من قبلها، وهي تعرف ذلك. بدلاً من ذلك نظرت خارج النافذة، ورأت وجه ثاديوس المندهش. في اللحظة التالية تحركت السيارة إلى الأمام، وما لبثت أن ازدادت سرعتها وهي تبتعد عن المنزل والمحامي.

- أليسا!

بدا لوكاس هادئاً جداً. هل أدرك أن كل ما يجري خطأ كبير؟ هل هو إنسان يتمتع بمشاعر رقيقة في النهاية؟ هل سيعتذر عن تصرفاته السابقة؟

- نعم؟

- هل هناك طريقة أفضل للوصول إلى المطار المحلي من الطريق التي سلكتها هذا الصباح؟

لا بد أنها بالغت في توقعاتها منه. طغت المرارة التي شعرت بها على إحساسها بالحذر.

- أتقصد الطريق التي جعلت من نفسك أحمق عليها؟

ضغط لوكاس بقوة على المكابح، فتوقفت السيارة بسرعة محدثة غيمة من الغبار. استدار نحوها، وبدا وجهه بارداً وقاسياً من خلال أضواء لوحة أجهزة القياس.

- لن أتحمل سماع أية إهانة بعد الآن.

- وماذا عما أتحمله أنا؟ افتراضاتك الباطلة، ومحاولاتك المثيرة للشفقة في الإغواء.

أصبحت أليسا بين ذراعيه قبل أن تتمكن من الاعتراض. عانقها بقوة، تماماً كما فعل في المرات السابقة. عانقها وكأن العقد قد أبرم، وكأنها أصبحت زوجته.

فجأة سيطرت عليها صدمة ما يحدث معها، وبدأت بالبكاء. راحت تبكي بصمت، لكن الدموع انهمرت على وجهها. فتذوقت دموعها المالحة، ولا بد أن لوكاس أدرك أنها تبكي، إذ تبدل عناقه فجأة.

أصبح عناقه لطيفاً، رقيقاً، ولم يعد يفرضه عليها فرضاً بل يطالب به باهتمام. همس باسمها وهو يتابع عناقه، فشعرت بعظامها تتحول إلى هلام.

فكرت. لا! لا أريد ما يحدث.

همس: «بلى عزيزتي، هذا ما تريدينه».

لا بد أنها تلفظت بما تفكر به، لكن ذلك لم يكن له أهمية إذ أن لوكاس جذبها إليه، فشعرت بدقات قلبه تطرق بقوة. بعدئذٍ توقفت عن التفكير...

اتكأت عليه، وتركت ذراعيه يطوقانها. شعرت بجسمه القوي يدعم جسمها الطري بقوة. لطالما شعرت أنها وحيدة طوال حياتها، فما أروع أن تتكىء إلى كتف رجل مثله يمكنها أن تستسلم لقوته، وأن تبادله العناق و...

أمسك لوكاس وجهها بين يديه، فغطتها أليسا بيديها. جذبها نحوه من جديد وعانقها مرة أخرى...

شعرت كأن جسمها يترنح، فارتفعت يداها لتطوقا عنقه وتتعلقا به كأنها غريق يتعلق بمنقذ لئلا يغرق في بحر لا قرار له. لكن، ألم تكن تغرق في عناقه أكثر فأكثر؟

آه يا إلهي!

فجأة ابتعد لوكاس عنها، ففتحت عينيها بقوة وهو يدفعها للعودة إلى مقعدها. نظرت إلى وجهه، فرأت ملامحه الباردة المليئة بالسخرية.

- هذا كثير على ما تسمينه محاولات مثيرة للشفقة في الإغواء. عزيزتي، أما بالنسبة إلى استجابتك، فيمكن القول إنه عمل جيد. هذا كل ما يطلبه الرجل من المرأة. أن تكون رقيقة ومتقدة المشاعر. لكن لسوء الحظ، تجاوبك في العناق يكشف عكس ما تدّعينه. لا أستطيع التخيل أن فتاة لم تعانق أحداً من قبل تستطيع مبادلة العناق بمثل هذه الحرارة.

اندفعت أليسا نحوه وقد رفعت قبضتها. إلا أن لوكاس أطبق يده حول

www.elromancia.com

يدها، وضغط عليها بقوة جعلتها تجفل.

- إنني أعتبر تعليقك عن الإغواء نوعاً من الدلال لا نوعاً من التذمر والشكوى.

رمته بكلمة مشينة، فضحك لوكاس.

- ما هذه الألفاظ عزيزتي؟ أهذا ما ينطق به فم بريء، كما هو مفترض؟

غابت ضحكته، وعادت البرودة إلى عينيه، ثم تابع: «أما بشأن الإغواء... حسناً! إن أحسنت التصرف فقد أفكر فيك، لكنني لن أتزوج بك ولو كنت المرأة الأخيرة على الأرض. هل هذا واضح؟».

أبعدت أليسا يدها لتتمكن من تحريرها، وقالت: «أنت شخص حقير».

- وأنت تحطمين قلبي.

- لا أصدق أن لديك قلباً.

- كل ما أريده منك هو أن تساعديني لأقنع جدي بأن هذا العقد ما كان يجب أن يكتب، ليس من أجل مصلحتك أو مصلحتي بل لأجله هو. إنه عجوز، وأنا أحبه كثيراً، ولن أقدم على إيذائه مقابل أي شيء في الحياة. هل تفهمين؟

أرادت أن تفحمه برد ذكي، لكن بدا كأن عقلها لا يعمل بشكل صافٍ.

اتهمته أنه لا يملك قلباً، وها هو يثبت لها أن لديه قلباً رقيقاً عندما يتعلق الأمر بجده، لكن عندما يتعلق بكل شيء آخر... تساءلت كيف يمكنه أن يعانقها بمثل هذه الحرارة فيما هو يدعي ذلك كذباً؟

أما هي، فكيف يمكنها أن تبادله العناق فيما هي تكرهه؟

قال ببرودة: «والآن، أسألك من جديد. هل هناك طريق أفضل من تلك للوصول إلى المطار بسرعة؟».

أرادت أن تقول له إن الطريق إلى الجحيم هي أفضل طريق له، لكنها ليست حمقاء. لوكاس ريز هو عدوها، لكن من الأفضل لها ألا تظهر له العداء الآن. أبقت صوتها هادئاً قدر ما تستطيع وهي تقول: «خذ المنعطف إلى الجهة اليسرى عند نهاية الطريق العام، ثم اسلك الطريق الأول بعد ذلك».

- وإلى أين سأصل، عزيزتي؟ إلى المطار أم إلى الجحيم؟

ملامح وجهها جعلت لوكاس يرغب في الضحك، لكنه لم يفعل.

قراءة أفكار أليسا ماكدونوف أمر سهل جداً، لكن ليس هناك ما يدعوه للضحك هذه الليلة. جده طريح الفراش، وهو يحضر معه إلى المنزل امرأة لا يثق بها، فمن تراه يعلم أين هي الحقيقة وأين يكمن الخداع؟ بدا للوكاس كأنه يطارد ضوء القمر.

الآن وهو يفكر بالأمر، تساءل كيف سيتمكن من العودة إلى بلاده؟ لن يجد طائرته بانتظاره، فقد أرسلها إلى نيويورك منذ عدة ساعات.

ظهر الضيق على وجهه. يا إله السموات! ما هذه الفوضى!

أمسك هاتفه النقال، وفتحه. ظهرت على الفور أربع إشارات أعمدة الاتصال. أربع أعمدة كبيرة رائعة. بسرعة، وقبل تدخل أية عوامل شريرة لتمحوها، ضغط على رقم الاستعلامات وسأل عن رقم هاتف المطار.

آه! لقد حالفه الحظ. إذ وجد الموظف في مكتب المطار مستعداً للمساعدة. أبلغه هذا الأخير أن هناك طائرة متوفرة للإيجار، ويسمح لها بالتوجه إلى نيويورك.

قام لوكاس بكل الترتيبات الضرورية. اتصل بربان طائرته الخاصة في نيويورك، وطلب منه أن يكون مستعداً للسفر ما إن يصل مع رفيقته إلى مطار نيويورك، وعندما أنهى الاتصال، وجد أن أليسا تراقبه بانزعاج.

- هل يفعل الناس دائماً ما تطلبه منهم؟

إنه تعليق بارد وليس سؤالاً وهو يعلم أن كلامها ليس مديحاً له. وبدلاً من أن يجيبها انحنى إلى الأمام، ثم أمسك بوجهها بيده قبل أن تبتعد عنه، وعانقها.

بعد لحظات ابتعد عنها، وقال بنعومة: «أجل... دائماً».

ثم أعاد السيارة إلى منتصف الطريق، وانطلق بسرعة.

٧ - عدو أم حبيب؟

غادرا تكساس في طائرة صغيرة استأجرها لوكاس، فيما أبقى يده بحزم على مرفق أليسا وهما في المطار، كأنه يخشى أن تهرب منه في اللحظة الأخيرة.

في نيويورك، استقلا طائرته الخاصة. توقعت أليسا أن ترى طائرة تشبه تلك التي غادرا فيها تكساس؛ طائرة صغيرة، مع فريق عمل لطيف، وعدد كافٍ من المقاعد. لكن تنين لها أن طائرة لوكاس ضخمة، وهي سريعة كعصفور فضي أملس، تحتوي على مقاعد مغطاة بجلد ناعم من اللونين الأسود والتبني.

مع أن أليسا عاشت في نيويورك لفترة كافية لتعلم أن الرجال الذين يرأسون شركات عالمية يسافرون في طائرات خاصة بهم، وينظرون إليها ببساطة على أنها حاجة ضرورية وليست وسيلة رفاهية، لكنها رفضت أن تفكر أن لوكاس مثلهم. فطريقته في التعامل معها، وافتراضه أنه يستطيع اقتحام حياتها وتولي زمام الأمور فيها، وامتلاكه هذه الطائرة الفخمة، مع وجود مضيف فيها، هي براهين واضحة تدل على أن الأمير الإسباني يظن نفسه أفضل من كل رجال الأعمال في العالم. فكرت أليسا أنها غير معجبة على الإطلاق بهذا الرجل، وهي لا تثق به أيضاً. أما سرعة تأثرها بعناقه فلا تشعرها بالإحراج فقط بل بالغضب كذلك.

لا بد أنه أدرك أنها ساذجة وتفتقد إلى الخبرة في التعاطي مع الرجال، فاستغل وضعها بشكل مطلق.

ليس بعد الآن! هذا ما فكرت به بينما كان المضيف يقدم العشاء في أطباق صينية رائعة الجمال، يحمل كل منها رسم تاج ملكي. في هذه الأثناء وضعت خطة لتسير عليها.

ما إن يصلا إلى إسبانيا، حتى تقول له إن لديه ثلاثة أيام فقط ليتولى زمام

الأمور. وهذا وقت أكثر من كاف لإقناع رجل عجوز أنه عرّض نفسه للخسارة بدل الربح في تدخله بحياة شخصين آخرين.

ثلاثة أيام، وبعدها ستعود إلى بلادها.

ستذهب إلى نيويورك لترى أساتذتها ومن المؤكد أن أحدهم سيقدم لها النصيحة التي تحتاجها. وهي منذ الآن، ترى أمامها الخطوط العريضة التي ستسير عليها من أجل إبطال بيع المزرعة.

خفّت قوة لوسيوس في سنواته الأخيرة وضعف جسمه إلى حد كبير. وفي النهاية، هذا ما حصل لعقله أيضاً. والله وحده يعلم منذ متى بدأ يعاني من تلك الأعراض؟ هل كان يتمتع بقواه العقلية عندما باع المزرعة، ووافق على ذلك الشرط الملزم في العقد؟

فحوى الموضوع أن العقد غير قابل للتنفيذ. تساءلت لماذا يريد فيلكس ريبز امتلاك أرض قاحلة لا جدوى منها؟ ولماذا يريدها هي لحفيده؟ أنهت أليسا فنجان قهوتها، ووضعت الفنجان والصحن جانباً ثم نظرت إليه. جلس لوكاس على مقعد جلدي عبر الممر، وبدا واضحاً أنه لم يلمس الطعام الذي وضع أمامه على الطاولة، بينما التفت يداه حول كوب من الكريستال، حيث راح يحتسي شراباً منعشاً، وهو ينظر من النافذة إلى الخارج. وعلى الرغم مما تعرفه عنه وما تفكر به، شعرت بدقات قلبها تتسارع، ولم يعجبها ذلك مطلقاً. إنه شديد الوسامة والجاذبية.

في الواقع، تجاهل لوكاس وجودها تماماً أثناء الرحلة. أمضى معظم الوقت في الطائرة وهو يتحدث عبر الهاتف. تحدث أحياناً باللغة الإنكليزية وأحياناً بالإسبانية. لم يكن صوته عالياً بما يكفي لتلتقط أكثر من بضع كلمات، لكنها كانت كافية لتعلم أن كل أحاديثه دارت حول حالة جده الصحية، ووجدت أليسا نفسها تشعر بالأسى عليه.

بعد قليل استدار لوكاس ونظر إليها. بدت عيناه داكنتي السواد، وعظام خديه بارزة أكثر من المعتاد. رأت أليسا أنه يتألم، فأبعدت نظراتها عنه.

في منتصف فترة بعد الظهر، بدأت الطائرة بالهبوط بنعومة عبر سماء زرقاء

صافية، فلامست بانسياب طريقاً طويلاً من الاسمنت، لتتوقف أخيراً بمهارة مثيرة للإعجاب. رأت أليسا مروجاً خضراء تحيط بمدرج الهبوط، وعلى بعد مسافة من هناك رأت تلة صغيرة تسرح فيها قطعان من الخيول، يقف بعضها تحت أشجار وارفة الظلال. أطلت سيارة رولس رويس عبر الطريق المقابل وتوقفت، فيما بدأ رجلان يرتديان زياً خاصاً بدفع الدرج المتحرك نحو الطائرة. في تلك الأثناء دخل المضيف إلى الحجرة وفتح الباب الخارجي.

قال بابتهاج: «أهلاً بك في ديارك، سمو الأمير».

نهضت أليسا على قدميها، وهذا ما فعله لوكاس أيضاً. أمسك بكتفها ما إن بدأت بالسير لتتقدمه.

- انتظري!

أهذا أمر ملكي؟ هل يعتقد أنها واحدة من أشيائه؟ أبعدت يده عن كتفها بسرعة، ومرت أمام المضيف. وما هي إلا لحظة حتى كادت تسقط في الفجوة الفارغة ما بين الطائرة والدرج المتحرك. سرعان ما التفت ذراع قوية حول خصرها، وشدّتها إلى الوراء. قال لوكاس بصوت حاد: «ما الذي تفعلينه بحق السماء؟».

- اعتقدت... الباب... اعتقدت...

راحت ترتجف كورقة في مهب الريح، وكذلك فعل لوكاس. خطوة أخرى و...

أطلق شتيمة غاضبة، وأدار أليسا إليه، ليضمها بقوة بين ذراعيه. توقع أن تقاومه وتبتعد عنه، لكنها انهارت فوق صدره، فيما راح قلبها يدق بعنف فوق صدره، أما أنفاسها فبدت متسارعة وضعيفة.

أغمض لوكاس عينيه، ودفن وجهه في شعرها: «أليسا، إنها غلطتي... الدرج...».

قاطعته بصوت مرتجف: «لم يكن هناك أي درج».

- صحيح. أعلم ذلك.

قال المضيف بصوت مضطرب: «إنها غلطتي بالكامل، سيدي. لو لم أفتح

الباب...».

- لا، هذه ليست غلطتك إميليو.

أمسك لوكاس بوجه أليسا، ورفعه قليلاً كي يتمكن من النظر إلى عينيها، ثم تابع قائلاً: «يعلم إميليو أنني أرغب بأن يفتح الباب، فأنا أحب رائحة الأرض... العشب... والبحر... أحب رائحة التلال والخيول...».

يا إلهي! كم يبدو وجهها شاحباً! استطرد قائلاً: «... والآن ستعتقدين أنني رجل مجنون، لأنني أعترف أني أحب رائحة الخيول».

نجحت محاولته في تهدئتها، إذ عاد بعض اللون الوردي إلى خديها، ثم ضحكت ضحكة مخنوقة.

- الشخص الوحيد المجنون هنا هو أنا، فقد حاولت أن أمشي في الهواء.

وفي هذه الأثناء كان الدرج قد ثبت في مكانه، وأصبح بإمكانهما الخروج من الطائرة.

غابت ابتسامته وهو ينظر إلى وجهها وسألها: «هل أنت بخير، عزيزتي؟».

- نعم، أنا بخير.

هذا ليس صحيحاً، فهو ما زال يشعر بتسارع دقات قلبها، كما أنها لا تزال ترتجف. لن يدعها تمشي وحدها، لذلك رفعها بين ذراعيه من دون تردد.

- لوكاس! حقاً، يمكنني أن أسير.

- بالطبع، وأنا أيضاً. لذا أسعديني عزيزتي، وضعي ذراعيك حول رقبتي، ودعيني أحملك إلى السيارة.

لم ينتظر إجابتها، بل سار بخطوات واثقة فوق العشب الأخضر ما بين مهبط الطائرة وسيارة الرولس رويس السوداء اللماعة المنتظرة على الطريق الآخر.

حياه السائق على الفور: «أهلاً بك في ديارك سمو الأمير».

- شكراً لك باولو.

باولو هو أكثر الأشخاص رصانة، لكن لا بد أنه يعاني الآن من وضع صعب جداً بمحاولته عدم التحديق بهما، فرؤية رئيسه حاملاً امرأة بين ذراعيه أمر لا يحدث كل يوم.

هذا الأمر برمته لم يحدث مطلقاً في هذا المكان في مطلق الأحوال. لم يحضر لوكاس من قبل امرأة معه إلى منزل أجداده. إنه منزله بالطبع، لكنه ما زال منزل فيلكس أيضاً، ولوكاس يتعمد دائماً التحفظ والتصرف برصانة عندما يتعلق الأمر بجده...

يا إلهي! هذه مشكلة أخرى لم يفكر بها البتة. لن يكون باولو الوحيد الذي يصاب بالدهشة من رؤية أليسا. وبدون أي شك أن جميع أفراد العاملين في منزله سيقفزون إلى الاستنتاج نفسه: أخيراً قرر أن يحضر عشيقة معه إلى المنزل. لن يسمح بحدوث ذلك مطلقاً!

هذه إسبانيا، وما زال الأمراء فيها يتعمدون عدم تفسير أفعالهم لأي كان. لكن هذه القاعدة لا تنطبق على النساء اليافعات. ليس في عالم ما زالت التقاليد البالية والعقول المغلقة تتحكم به.

قال بلطف: «باولو».

رمش السائق بعينيه، وقال على الفور: «آسف سيدي. أنا، أنا...».

فتح باولو الباب الخلفي للسيارة الضخمة، فانزلق لوكاس إلى داخلها، وهو لا يزال يحمل أليسا بين ذراعيه. حاولت أن تتملص منه قليلاً، فضغط بذراعيه عليها ووضع شفتيه على صدغها هامساً: «ابقي هادئة، عزيزتي».

ثم وجه الكلام لباولو: «هذه السنيوريتا ماكدونوف».

قال باولو وهو يبتسم لها في المرآة: «أهلاً، سنيوريتا».

- سوف تزورنا لفترة.

- نعم، سيدي.

تجهم وجه لوكاس. عليه أن يقول شيئاً أفضل من ذلك، لكن هذا يكفي حتى الآن. فالآن تدور أفكاره كلها حول المسألة الأكثر أهمية: فليكس.

- هل طرأ أي تغيير على صحة جدي، باولو؟

- لم أسمع عن ذلك، سيدي.

لم يطرأ أي شيء جديد، وما زال فليكس فاقد الوعي.

- هل ترغب في الذهاب إلى المستشفى، سيدي؟

- خذنا إلى المنزل أولاً. سأوصل السنيوريتا لكي ترتاح، وبعد ذلك سأذهب إلى المستشفى.

همست أليسا: «لست بحاجة كي أرتاح، كما أتمنى أن تبعد ذراعيك عني! ما الذي سيظنه السائق؟».

نظر لوكاس إلى كتلة النار بين ذراعيه. بدا وجهها أحمر كالورد، وشعرها الطويل متدلياً على كتفيها بعد أن تفلّت من عقدته، أما أحمر الشفاه الذي كان على شفتيها فقد زال منذ ساعات طويلة.

- لا يمكنك أن تسير كيفما تشاء وأنت تحملني كأنني... كأنني...

أحنى لوكاس رأسه وعانقها من جديد، وشعر بمقاومتها تضعف لتصبح رقيقة.

عندما رفع نظره، لمح باولو ينظر إليهما من خلال المرآة، وقد فتح فمه من الدهشة.

قال بهدوء: «باولو، نسيت أن أذكر...».

- سيدي!

- شرفتني السنيوريتا ماكدونوف بموافقتها على أن تصبح زوجتي.

* * *

- هل فقدت عقلك؟

تلك هي الكلمات الأولى التي تلفظت بها أليسا عندما أعلن لوكاس خبر زواجهما المستحيل.

حملها من السيارة، وسار عبر الدرج الواسع ليدخل أبواباً ضخمة لما يمكن تسميته قصراً فخماً. مرّ أمام رئيس الخدم ومدبرة المنزل وإحدى الخادمات ثم أمام أكثر من نصف دزينة من الأشخاص الذين يحدقون بها وبه. لكن هؤلاء جميعاً أشرقت وجوههم عندما أعلن لهم ذلك النبأ السعيد.

- هذه السنيوريتا ماكدونوف، خطيبتي.

خطيبته! بينما هي في الواقع امرأة ترغب في اقتلاع عينيه!؟ لكن أليسا بقيت هادئة، فهي تعلم أن أي شيء ستقوله لن يأتي بفائدة لها، وأن هذا الأمير الإسباني

المتفاخر سيغلق فمها بمعانقتها.

ما إن يصبحا بمفردهما، سوف تخبره أي أحمق هو.

حملها عبر درج أنيق مزخرف يؤدي إلى قاعة واسعة، ثم فتح أحد الأبواب بكتفه، وأغلقه برفسة من قدمه. أخيراً أوقفها على قدميها، ثم شبك ذراعيه على صدره، ونظر إليها بطريقة تقول إنه يعلم ما الذي سيحدث الآن.

قال بصوت أجش: «حسناً، عزيزتي! لنتته من الشجار».

وهذا ما حدث. نظرت إليه أليسا غاضبة، غير مصدقة ما يجري، وبعد ذلك طرحت عليه السؤال الذي هو بالفعل مجرد تعبير عما تفكر به.

- هل فقدت عقلك؟

لا بد أن هذا ما حدث له. وإلا لماذا قال للجميع إنهما خطيبان؟ لماذا يضيف المزيد من التعقيدات على أمر أصبح بسرعة وضعاً لا يحتمل؟

تجهم وجهه، ثم حدق إليها بغضب. مرر يديه من خلال شعره الداكن، حتى وقف شعره وبدا مجعداً. أخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم استدار فجأة ليواجهها وهو يقول: «لم يكن لدي أي خيار آخر».

- هل قلت إنني خطيبتك لأنه لم يكن لديك أي خيار آخر؟ هل تريدني أن أصدق هذا الكلام؟

- عزيزتي... لو تهدئين قليلاً...!

- وافقنا كلانا على أن ذلك العقد... ذلك الشرط الملزم التافه هو مزحة سمجة، ولهذا السبب فقط وافقت على القدوم إلى هنا معك... لأننا اتفقنا على ذلك، ولأنك قلت إنك ستجد طريقة لتجعل جدك يرى أن ذلك العقد خطأ فادح.

- غير ملزم.

- غير ملزم... خطأ... ما الفرق؟

ضربت أليسا يديها على وركيها وتابعت: «علمت أنه ما كان علي أن أصدقك!».

امتقع وجهه وقال: «هل تقولين إنني كاذب؟»

- قلت للتو لكل الموظفين لديك بأننا مخطوبان، فماذا تريدني أن أدعوك؟ مبدع؟ مخترع؟

نفخت أليسا بقوة خصلة شعر سقطت على عينيها وهي تتابع: «فكرت بالأمر كثيراً اليوم... الليلة... سمِّ الوقت ما شئت، فقد مررنا بأكثر من توقيت زمني على الكرة الأرضية أثناء سفرنا».

علق لوكاس ببرودة: «ثلاثة. أعلم أن ذلك عملاً قاسياً، لكنني أحاول أن أكون دقيقاً».

- بل أربعة، إذا احتسبنا هذا المكان أيضاً. لكن ليس هذا صميم الموضوع...

سارت نحوه وعيناها تلمعان بشدة من الغضب وهي تتابع: «والآن، ها أنت تخبر كل الخدم لديك بأنني أحمل صفة لا أرضى بها مطلقاً».

- هل انتهيت؟

- لا! لم أنته بعد. إن كنت تعتقد، ولو للحظة واحدة أنني قد أوافق على ذلك... ذلك الشرط الملزم...

- هذا مذهل! أنت تلفظين الكلمة وكأنها شتيمة.

- لن أتزوج بك ولو... ولو...

- ولو كنت آخر رجل في العالم. هذه هي الجملة التي تقال في مثل هذه الحالة عزيزتي. لكن ليس عليك أن تقلقي بشأن هذا الأمر، فنحن متفقان على المضي قدماً من أجل حل هذه المشكلة.

إنه على حق. إنها تلقي عليه اللوم وتوبخه لكنها لن تصل بذلك إلى الحل. أمضت الساعات وهي تعد خطة لما ستفعله. حسناً! إذا كانت خطتها متوازنة مع خطته... تلك التي تتعلق بإقناع جده بأن يرى الأمر على حقيقته...

أخذت أليسا نفساً عميقاً: «المسألة هي...».

قاطعها لوكاس: «نعم، المسألة...».

ثم تقدم باتجاهها فأمسك كتفيها بقبضتيه كأنه يرفعها عن الأرض، ما جعلها تقف على رؤوس أصابع قدميها، وتابع قائلاً: «... عزيزتي الساحرة، ليس

هناك ما يدعوك إلى القلق، فأنا لن أتزوج بك أيضاً ولو كنت آخر امرأة في هذا الكون كله!».

- إذاً، لماذا...؟

قال بصوت أجش، وهو يخفض رأسه لتلتقي نظرات عيونهما: «لأنني أحمق، إذ أدركت فجأة أن إحضارك إلى هنا قد يدمر سمعتك».

فتحت فمها، ثم أغلقته. سمعتها!؟ هذا الرجل أهانها، هددها، تنمّر عليها، واتهمها بالكذب في ما يتعلق بحياتها الشخصية، والآن، أيدعي أنه يشعر بالقلق على سمعتها؟ لا بد أنه يمزح!

- أعترف أنه كان عليّ التفكير بذلك.

قالت أليسا ببطء: «التفكير... بشأن سمعتي؟».

- نعم. هذا مكان مغلق وصغير. إنه عالم بحد ذاته.

- أي مكان صغير؟ أي عالم؟

قال لوكاس بنفاد صبر: «هذا المكان... الأندلس، الناس الذين يعيشون هنا. الأشخاص الذين يربون هذه الخيول».

- أنا لا أعيش هنا. وكما تعلم بدون أي شك، أنا لا أربي الخيول سواء كانت أندلسية أو من أي نوع آخر...

ظهر الضيق على وجهها وهي تكمل: «ليس بعد الآن».

- لكنك كنت تربين الخيول.

- نعم، في السابق. منذ زمن بعيد، أمي كانت تستولد الخيول.

- وهذا ما ستفعلينه من جديد، ما إن أجد وسيلة للتخلص من ذلك الشرط الملزم وإعادة الأرض لك.

شعرت بالأمل يملأ قلبها. هذا ما قال إنه سيفعله. قال ذلك أولاً لجده خلال الاتصال الهاتفي والآن يقوله لها. أتراه حقاً يقصد ذلك؟

- عزيزتي، ثقي بي. إنه عالم صغير هذا الذي نعيش فيه، وأنت لا تريدين أن يتحدث الناس عنك، ولا يحق لي أن أسمح لأي كان أن يفترض أنني أحتاجك هنا، لأسباب خاطئة.

قالت ببرودة: «أنت تقصد أن رجلاً مثلك يحتاج النساء فقط لسبب واحد».

- صحيح. لا! تباً.. ليسا!

- ناديتني بهذا الاسم من قبل، وهذا ليس اسمي.

- ما علاقة الاسم الذي أناديك به بالموضوع الذي نناقشه الآن، بحق السماء؟

رمشت أليسا جفنيها. بمَ كانا يتناقشان، بالتحديد؟ لم تعد متأكدة تماماً. فلوكاس يقف قريباً جداً منها. يداه على كتفيها دافئتان جداً، وعيناه سوداوان عميقتان...

أضاف بصوت ناعم: «أحب اسم ليسا، إنه يناسبك. هل يزعجك إن ناديتك به؟».

أيزعجها؟ لماذا سيزعجها؟ النبرة التي يلفظ بها اسم ليسا رائعة، بدا كأنه يهمس باسمها، بل كأن هذا الاسم يخصهما وحدهما. كأنهما معاً يتعانقان ويشتعلان حباً... آه، يا إلهي!

قالت بهدوء: «لا، لا يزعجني ذلك مطلقاً. في مطلق الأحوال، أنت على حق. لا علاقة للاسم بما كنا نتحدث عنه».

قال لوكاس بصوت قلق: «حسناً! الحقيقة... الحقيقة هي أن رؤيتك هنا أثارت الاضطراب لدى الموظفين لدي».

ردت بنعومة ساخرة: «هل تقصد أنهم غير معتادين على رؤيتك تحضر إلى المنزل غنائم الحرب؟».

قال بعناد رافضاً أن يبدل الموضوع من جراء سخريتها: «هم غير معتادين على رؤيتي أحضر أية امرأة إلى هذا المنزل، فأنا لم أفعل ذلك من قبل».

لم تعرف أليسا لماذا رغبت في الابتسام بسبب الكلام الذي سمعته.

- ألم تفعل ذلك حقاً؟

- هذا ما كنت أقوله لك، عزيزتي. لا، لم أفعل. وأدركت فجأة أن الجميع هنا... حسناً! سيرونك، وسيظنون بك ظنوناً مريبة. لا أريدهم أن يعتقدوا أنني أحضرتك إلى هنا لأنك عشيقتي.

رمشت أليسا برموشها. ربما هناك قلب حيّ ينبض تحت هذا الجسم القوي المتكبر.

- هذا... هذا لطف منك، لكن...

- دعي كل شخص يعتقد أنك خطيبتي. هذا سيحميك من الأقاويل.

ابتسم بمكر وتابع: «ثقي بي، عزيزتي. الأقاويل تنتقل بسرعة البرق، حتى عبر المحيط الأطلسي».

- حسناً! حسناً! كما قلت لك هذا التصرف غاية في اللطف من قبلك، لكن...

- بعد الانتهاء من ذلك كله، سأقول ببساطة إننا وجدنا تلك الخطوبة فاشلة واتفقنا على الانفصال.

هزت برأسها وقالت: «بالطبع!».

لكنها تساءلت لماذا جعلها ما قاله الآن تشعر بالحزن ولو قليلاً.

هزّ لوكاس رأسه أيضاً: «سأطلب من دولوريس أن تصعد إليك وتراك، اطلبي منها كل ما تحتاجينه».

قالت أليسا وهي تضحك: «كل شيء؟ ثياب، فرشاة أسنان، مشط، استحمام».

- يمكنني الاهتمام بذلك.

بدا صوته فجأة منخفضاً وأجش، فرفعت نظرها إليه وحبست أنفاسها بسبب ما رأته في عينيه.

قال بنعومة: «أقصد... الثياب، سآخذك معي في الغد. يمكنك شراء كل ما ترغبين به».

- لا أستطيع القيام بذلك.

- بالطبع تستطيعين.

ابتسم لوكاس، وأمسك ذقنها بيده ثم مرر إبهامه على خدها.

- أحضرتك إلى هنا بالرغم عنك، عزيزتي. لذلك أدين لك بأكثر من رحلة تسوق.

- لوكاس...

يا إلهي! إنها تشعر بدوار في رأسها. منذ فترة قصيرة كانت تشعر بغضب عارم منه، والآن كل ما تستطيع التفكير به هو جمال عينيه البنيتين، وما تشعر به بسبب لمسة إبهامه على خدها.

- لوكاس... فكرت كثيراً في الطائرة.

ابتسم وهو يقول: «وأنا أيضاً، عزيزتي. فكرت كم أنا محظوظ لأن ذلك الشرط الملزم لم يلزمني بامرأة تشبه تلك التي وجد ابن عمي أنريكه نفسه مخطوباً لها».

قالت أليسا: «نحن لسنا خطيبين».

وتعجبت لما بدا صوتها ضعيفاً كأنها مقطوعة الأنفاس.

- لا! بالطبع لا. لكن أنريكه وتلك المرأة كانا كذلك، وخطيبته تفوقه وزناً.

أصبحت ابتسامته ضحكة واضحة وهو يحرك رأسه متعجباً.

ضحكت أليسا بنعومة، وعلقت: «أنت تختلق ذلك».

قال لوكاس محاولاً أن يبدو حازماً: «أقسم أن ذلك صحيح. تلك المرأة لديها حاجب واحد».

وضع إصبعه قرب صدغه ورسم خطاً مستقيماً فوق جبهته.

- حاجب واحد، كثيف وأسود اللون. هل يمكنك تخيل ذلك؟

جذبها إلى ما بين ذراعيه ببطء وعناد.

- الرجل المحظوظ فقط يجد نفسه مرتبطاً في عقد زواج مع امرأة في مثل جمالك، عزيزتي.

قالت أليسا بسرعة: «إنه عقد باطل».

- بالطبع! لكن لو كان صحيحاً...

- هو غير صحيح.

قالت ذلك من جديد، لكن هذه المرة هي من وقفت على رؤوس أصابع قدميها لتقترب منه أكثر ولتتمكن من عناقه.

عانقها في البداية بلطف ورقة. ثم ضمها بين ذراعيه كأنها هشة كالزجاج،

لكن ذلك لم يكن كافياً.

ليس بالنسبة إليه..

وليس بالنسبة إليها.

همست: «لوكاس...».

تأوه لوكاس وضمها إليه بقوة أكبر. فتجاوبت مع عناقه بسهولة وشغف كما لو أنهما فعلاً خطيبين مغرمين. رفعها بين ذراعيه حتى كادت قدميها ترتفعان عن الأرض، وعندما شهقت همس لها بكلام ناعم. فجأة أمسك بها كأنها امرأة وليست قطعة نادرة من الكريستال.

قال بصوت عميق: «عزيزتي».

في اللحظة التالية وجدت أليسا نفسها وقد أصبحت بين ذراعيه وهو يحملها بسرعة عبر الظلال الواضحة لفترة ما بعد الظهر، إلى غرفة أخرى فيها سرير ذو أعمدة أربعة ضخمة علقت عليها ستائر من الدانتيل عاجية اللون، بالإضافة إلى أريكة واسعة من المخمل العاجي. وضعها على الأريكة وجلس بقربها وهو ما زال يحتضنها.

سمعا طرقة على باب غرفة الجلوس، فرفع لوكاس رأسه. كانت أليسا لا تزال بين ذراعيه، وعيناها تشعان بالشوق إليه.

سمعا طرقة أخرى على الباب.

- سيدي سمو الأمير! جاء اتصال من المستشفى. استعاد جدك وعيه.

احتاج لوكاس للحظة ليفهم ما سمعه. لقد نسي كل شيء إلا المرأة الجالسة بين ذراعيه. تلك الساحرة التي تملك القوة لتفقده صوابه، على الرغم من أنه ما زال يجهل إن كانت ساحرة جيدة أم شريرة.

انحنى فوقها وعانقها بقوة كافية لجعلها تشهق، وقوة كافية لترك تأثيرها على جسدها وعلى روحها. استدارت أليسا إلى الجهة الأخرى، بينما أسرع هو في مغادرة الغرفة. لفت ذراعيها حول وسادة الأريكة، ثم أغمضت عينيها ودفنت وجهها في الوسادة.

أخطأت في السماح له بإحضارها إلى هنا، لكن هذا أمر لا تستطيع معالجته

الآن. عليها أن تغادر هذا المكان وتبتعد عنه، غير أنها لا تملك مالاً أو جواز سفر. لا تملك إلا غضبها المسيطر عليها، وهذا ما دفعها لتنهض عن الأريكة وتتوجه إلى الحمام. استحمت أليسا وارتدت ثيابها. تلك الثياب التي بدا لها كأنها ترتديها منذ الأزل. تحدثت بحدة مع دولوريس عندما دخلت إلى غرفتها بعد مرور ساعة لترى إن كانت بخير.

أجابت بغضب: «إنني بخير».

تلعثمت دولوريس وهي تعتذر منها، ثم غادرت مسرعة.

شعرت أليسا كأنها ستتمزق إلى أشلاء. لا بد أنها فقدت صوابها. بالطبع ما كانت لتستسلم لعناق لوكاس بمثل هذا الشوق لو أن عقلها يعمل بطريقة صحيحة.

لم تنم منذ ساعات طويلة... كما أنها مرهقة، منهكة القوى. على الرغم من ذلك، لم تستطع أن تتوقف عن ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهي تفكر بما ستقوله للوكاس عندما يعود.

تذكرت ليلة وفاة لوسيوس. يومها وقفت قرب جثته الهامدة ولم تشعر بأي شيء. تذكرت كيف انهمرت الدموع من عينيها أخيراً بعد عدة ساعات، دموع على ما كان يجب أن تكون عليه حياتهما، لكن الوضع هنا مختلف، وهي تعلم ذلك جيداً.

ومع انقضاء فترة بعد الظهر وحلول المساء، بدأت أليسا تتساءل عما يواجهه لوكاس في غرفة المستشفى بجانب رجل عجوز، يبدو بوضوح كم يحبه.

أرخى الليل سدوله فوق قصر ريز. والتمعت النجوم ككتل من النار المشتعلة في السماء السوداء. فجأة غادرها ذلك التوتر الذي كان مسيطراً عليها ليتركها مرهقة وقلقة.

خلعت ثيابها، وتركتها على الأرض حيث سقطت، ثم ارتدت رداء قطنياً ناعماً وجدته في الخزانة وسارت متعثرة نحو السرير.

بعد مرور ساعات طويلة، أيقظتها من أعماق نومها همسة لطيفة.

- ليسا!

أجبرت أليسا نفسها على فتح عينيها فوجدت لوكاس يجلس على السرير بجانبها، وقد أنار ضوء القمر وجهه، فبدا كأن التعب وخيبة الأمل يرسمان كل خط من خطوط وجهه الوسيم المتكبر.

مرر يده فوق شعرها.

- اعذريني لأنني تأخرت كثيراً، عزيزتي. لكن جدي...

- هل؟

قال بصوت منخفض: «إنه حي، لكن...».

هزّ لوكاس رأسه. ومن دون أن تفكر، مدت أليسا يدها ولامست خده.

- أنا آسفة، لوكاس.

- أعلم، وشكراً لك على تعاطفك.

نظرت أليسا إليه بصمت. ثم مدت يدها ببطء إليه.

تأوه بنعومة وضمها إليه وهو يجلس على السرير بجانبها. همس برقة: «عودي إلى النوم، عزيزتي».

تنهدت، ووضعت رأسها على كتف الأمير الإسباني المتفاخر، العنيد، وغرق كلاهما في نوم عميق.

٨ - سعادة يمحوها النهار

مع طلوع الفجر سمع صوت طائر على أشجار الياسمين في الحديقة الممتدة تحت نافذة غرفة النوم. كان الصوت عبارة عن صيحة قصيرة، لكنه كافٍ ليوقظ لوكاس من نومه.

تجهم وجهه وهو ينظر حوله.

أي سرير هذا؟ إنه ليس سريره، وهذه ليست غرفته. للحظة، اعتقد أنه في نيويورك، في منزله الذي هو عبارة عن شقة فوق سطح مبنى شاهق في غرب سنترال بارك. بعدئذٍ شعر بالجسم الطري للمرأة النائمة بقربه.

أليسا!

كانت مستلقية قربه، تضع ذراعها فوق صدره، ورأسها ملقى على كتفه، فيما تناثرت خصلات من شعرها الحريري على وجهه. أغمض لوكاس عينيه. آه! كم تبدو رائعة، دافئة، رقيقة. إنها ذات جمال مثالي!

لكن ما الذي يفعله هو هنا، في سريرها؟ تذكر كيف عاد من المستشفى، مرهقاً وحزيناً. كان الوقت متأخراً، والخدم جميعهم نيام في غرفهم، حتى دولوريس.

صعد الدرج بهدوء متجهاً إلى جناحه، ثم توقف قليلاً في الردهة لينظر نحو جناح الضيوف. هل ما زالت أليسا مستيقظة؟ وهل فكرت بذلك العناق الذي كانا غارقين فيه قبل أن يتم استدعاؤه للذهاب إلى المستشفى؟ بالطبع هو فكر بذلك. حتى وهو يجلس قرب سرير جده، ويد جده الباردة كالثلج في يده، عاودته ذكريات من تلك اللحظات العفوية بينهما. ما حدث بينهما أمر عفوي، أليس كذلك؟ أم أن أليسا شعرت أن الوقت حان كي تجذبه أكثر إلى

www.elromancia.com

حبائلها؟

أغمض لوكاس عينيه. . . أصرت على أنها لن تتزوج به أكثر من إصراره على أنه لن يتزوج بها. لكن أين هي الحقيقة؟ إنه منهك جداً ليفكر بالأمر الآن. حمام ساخن، ونوم ليلة كاملة، هذا ما يحتاج إليه الآن. سيفكر في إيجاد حلول لما يقلقه عند الصباح. ذهب إلى جناحه. خلع ثيابه في الظلام، واستحم تاركاً المياه الدافئة تضرب عنقه وكتفيه، بينما وقف منحني الرأس واضعاً يديه على الجدار الزجاجي لحجيرة الاستحمام.

شعر بالحيوية تعود إلى جسده لكن ليس إلى روحه. ارتدى بيجامة قطنية خفيفة وارتمى على السرير لكن النوم بقي بعيداً تماماً عنه، وكذلك الإحساس بالراحة والسلام.

فكر بفليكس. . . استعادته لوعيه هو إشارة حسنة. ما دام قد استعاد وعيه، فإنه سيشفى من تعابير الذهول والصمت سريعاً، أليس كذلك؟

وبالطبع، فكر بأليسا، وبما شعر به عندما ضمها إليه. فكر كيف بادلته العناق، وكم كانت قريبة منه. إنه يشعر بشوق حارق إليها، شوق سيطر عليه منذ الدقائق الأولى، حين رآها في الإسطبل في المزرعة الكبرى. استدار وتقلب في سريره، حتى أصبحت أغطية السرير مربوطة وكأن صبياً معتوهاً في الكشاف ربطها في عقد يسهل فكها. أصابه الاشمئزاز، وقرر أخيراً أن ينزل إلى المكتبة لإحضار كتاب ما. وبدلاً من ذلك لم ينزل الدرج، بل سار عبر القاعة.

سأل نفسه: إلى أين تعتقد أنك ذاهب بحق السماء، ريز؟

الجواب سهل. . . سار مباشرة إلى جناح الضيوف، ووقف أمام الباب المغلق. أصغى لعله يسمع صوتاً، أو يرى أي أثر للضوء يلمع من تحت الباب، إلا أنه لم يجد شيئاً.

لماذا ستكون أليسا مستيقظة في مثل هذا الوقت؟ وماذا إن كانت مستيقظة فعلاً على أي حال؟

قال لنفسه بقسوة: «فقط. . . ابتعد عن الباب!».

مع ذلك أدار المقبض، وفتح الباب ثم سار بهدوء عبر غرفة الجلوس إلى غرفة

النوم.

وجد أليسا مستلقية بسكينة على السرير ذي السقف الذي تلفه الستائر، وقد سقط نور نجمة ساطع على وجهها المرهق. بالطبع هي تشعر بالإرهاق بسببه.

شعر بقلبه يعتصر عليها. أراد أن يوقظها، ليقول لها إنه آسف على كل شيء، وإنه تصرف بطريقة لم يعهدها في نفسه عندما أخافها في الإسطبل، وإنه أجبرها على القدوم إلى هنا معه لأنه. . من تراه يخدع؟ لقد أجبرها بالطبع، والفرصة التي أعطاها لها تشبه فرصة فأرة وقعت بين براثن مجموعة من الهررة. الشيء الوحيد الذي لا يشعر بالأسف حياله، هو ذلك العناق الحميم الذي حدث بينهما منذ ساعات مضت.

بإمكان هذه المرأة أن تكون ضعيفة كهرة صغيرة وقوية كالنمرة. هو يعرف القليل القليل عنها، لكنه متأكد من ذلك. أهذا تعمد فليكس أن يوثقه بها؟

هناك عشرات النساء اللواتي يعتبرن خيارات منطقية إذا ما فكر بالزواج. في الواقع، هن خيارات منطقية أكثر منها، فأوروبا مليئة بالأميرات والكونتيسات اللواتي تتوق عائلاتهن إلى إضافة ألقاب لوكاس وصفاته الخالية من أية شائبة إلى ألقابها. كما أن بإمكانه أن يوسع حقل الخيار، أيضاً. فالوريثات الأميركيات يتشوق آباؤهن للحصول على لقب يعطيهم مجد العالم القديم بالإضافة إلى ثرواتهم في الأرض الجديدة.

قابل لوكاس العديد من أولئك النساء: أميركيات وأوروبيات، وجميعهن جميلات ومدللات إلى درجة الفساد، وكل واحدة منهن تعرف جيداً كيف تبتسم للرجل وتغازله وتسعده.

بدا له أن أليسا لا تعرف أي شيء عن ذلك. إنها قوية جداً، وتعتمد على نفسها تماماً. لا يستطيع التفكير بامرأة أخرى تصدت له بالطريقة التي فعلتها هي.

أهذه الأسباب اعتقد فليكس أنها قد تجذبه؟ بقوتها؟ وباستقلاليتها؟ وبراثتها؟

فجأة سأل لوكاس نفسه: ما الذي يفعله هنا بحق السماء، متطفلاً على غرفة

نوم أليسا؟ في الواقع، هو متعب جداً، وبدت غرفته مليئة بالظلال لكن هذه الغرفة... هذه الغرفة مليئة فقط بليسا!

في تلك اللحظة همس باسمها، فاستيقظت على الفور، وعندها فقط أدرك أنها قد تصرخ، أو على الأقل، ستقول له ليذهب إلى الجحيم.

لكنها بدلاً من ذلك سألته عن فليكس بصوت ناعم عطوف، وعندما فتحت ذراعيها له، بدا له أن الأمر الأكثر مجلبة للطمأنينة إلى نفسه في العالم كله أن يجلس بجانبها. ضمها إليه، ووضعها قرب قلبه لتجلب له نعمة الشعور بالارتياح.

تحرك لوكاس في السرير، وشعر برغبة في معانقتها.

يا إله السماوات! أي نوع من الرجال هو كي يخطط لذلك؟

سحب ذراعه من تحت كتفها بحذر.

- لوكاس!

جد في مكانه من همستها، لكن تسارع أنفاسها أعلمه أنها أدركت بأي وضع حميم هما.

- لوكاس، كيف أصبحنا هنا..؟ ما الذي تفعله؟

تحرك قليلا، لكنه بقي مكانه، رفع رأسه بما فيه الكفاية حتى ينظر إلى وجهها.

قال بنعومة: «لا بأس، عزيزتي. أنا جلست بقربك وغفونا فقط، لا شيء أكثر».

لاحظ أنها تحاول أن تستعيد الأحداث التي أدت إلى هذا الموقف، كما حدث معه منذ دقائق فقط. أخيراً هزت رأسها.

- تذكرت ما حدث.

- شكراً لك، ليسا.

- علامَ؟

مرر إصبعه برقة فوق خدها الناعم.

- على إعطائي بضع ساعات من النوم. لا أدري ما السبب، لكنني ما كنت لأحصل عليها لو كنت بمفردي.

- أتفهم ذلك.

- أحقاً؟

- عندما كان لوسيوس مريضاً جداً، مرت عليّ أوقات كنت فيها متعبة لدرجة أنني بالكاد أستطيع رفع رأسي، ومع ذلك عندما كنت آوي إلى السرير، كنت أبقى مستيقظة لساعات طوال.

أخذت نفساً عميقاً، وزفرته بتنهيدة ناعمة ثم تابعت: «لم أكن احبه كما تحب أنت جدك، لكن من الصعب على أي كان رؤية شخص كان جزءاً من حياته يتعذب ويعاني».

ابتسم لوكاس: «هل حبي لفليكس واضح إلى هذه الدرجة؟».

ابتسمت أليسا بدورها: «واضح كوشاح الشرف، ولا بد أنه يحبك بالمقدار نفسه».

قال بنعومة: «يا للغرابة! أنا لم أنم مطلقاً مع امرأة من قبل، لأتحدث عن عاطفتي وشعوري نحو جدي».

اصطبغ وجهها باللون الأحمر وعلقت: «أنت لست نائماً معي، لوكاس».

قال بصوت عميق: «لا، لم يحدث بيننا أي شيء...».

وسقطت نظراته إلى عينيها، وتابع: «... وهذا سبب كاف لأغادر سريرك، عزيزتي. لكن دعيني أعانقك، متمنياً لك ليلة سعيدة».

عانقها بنعومة، فشعر بدوار مخدر يجتاح كيانه. إنها كالعسل، كفاكهة ناضجة، حلوة ودافئة.

سمع صوتاً في داخله، يأمره بأن يغادر سريرها الآن، لكنه لم يستطع إطاعة ذلك الأمر، لأنه لم يستطع السيطرة على المشاعر التي تزداد في داخله.

مرت دقائق حلقا فيها بعيداً عن كل ما واجههما في الساعات الماضية من صدمات وقلق، غير شاعرين إلا ببعضهما البعض غارقين في عناق لم يعرف طعمه لوكاس مع أي من النساء اللواتي عرفهن في حياته، أما أليسا فقد نقلها عناقه الحميم المليء بالشغف هذا إلى عالم جديد لم تذق حلاوته من قبل.

بعد أن ابتعد عنها لوكاس، فكرت أليسا، أهذا حقاً ما تشعر به المرأة عندما

يبدي الرجل شوقه إليها؟ ضمت ذراعيها إلى صدرها وهي تشعر بالذهول من العاطفة الشفافة التي أحاطها بها لوكاس.

إنها لا تعرف أي شيء مطلقاً عن تبادل المشاعر بين الرجال والنساء. لكن الفتيات يهمسن بهذه الأحاديث ويضحكن.

لم يكن لدى أليسا من تستطيع أن تسأله عن مثل هذه الأمور. في المدرسة الداخلية، تلتقي الفتيات في حلقات ضيقة كالعصابات، أما هي فخجولة ونحيلة، وتشعر براحة أكثر بصحبة الخيول لا بصحبة الناس. وهكذا كانت تمضي معظم أوقاتها في النزهات. أما في الجامعة، فقد فات الأوان لتسأل.

ذات مرة، بعد أن بلغت مرحلة النضوج، بدأت بطرح الأسئلة على أمها. تورد خدا أليا مونترو ماكدونوف، وأشارت بيدها إلى الخيول التي تركض في المزرعة، ثم قالت لأليسا إن الطبيعة سوف تعلمها كل شيء.

ربما! لكن تزاوج حصان مع أنثاه لا علاقة له مطلقاً بتلك المشاعر التي تنمو بينها وبين لوكاس، فالأمر هنا يتعلق بالاحساس بكل لمسة من يده، فحرارة عناقه جعلتها ترغب في البقاء متمسكة به إلى الأبد.

أهي منجذبة إلى عدوها؟ إلى ذلك الرجل الغريب الذي اقتحم حياتها عنوة؟

غير أن لوكاس لا يحبها، بل هي مجرد تسلية عابرة بالنسبة إليه. فما تعرفه عنه، أنه يرغب بأن تصبح العلاقة بينهما مثل أية علاقة بين حصان وأنثاه، تلك الأنثى التي عبر لوكاس المحيط ليشتريها.

- ليسا؟!

- عزيزتي، هل أنت بخير؟

ابتلعت الغصة بصعوبة. أما هو فرفع رأسه لينظر إليها، ورأت سؤالاً في عينيه الجميلتين بلون البندق. ماذا يعتقد أنها ستقول؟ إنها تشعر بالانجذاب نحوه، وإنها ستفعل كل ما يريده؟ أم إنها ستعود إلى بلادها، راضية بأن لا شيء تستطيع القيام به لإنقاذ أرض أمها؟

في الفترة القصيرة التي تعرفت فيها على الأمير الاسباني، فقدت كل شيء أمامه. منزلها، مستقبلها، والآن قلبها. الشيء الوحيد الذي بقي لها هو

كبرياؤها، وهي لن تسمح له مطلقاً بأن يجردها منه.

- هل يمكنك أن تبتعد عني، من فضلك؟

رمش بعينيه غير مصدق. من الواضح أنه معتاد على حديث مختلف جداً مع نسائه. أتراه يتوقع أن تقول له كم هو رائع وكم هي سعيدة بقربه؟ مع أنه رائع ووسيم حقاً.

هب لوكاس واقفاً عنها وقال: «آسف، لم أدرك أنني سأزعجك».

ثم أردف بصوت هادىء: «لم أتعمد الإساءة.. أردت فقط عناقاً بسيطاً قبل مغادرتي».

نظرت إليه بغضب وهي تقول: «أنت تتعمد إهانتي في كل مرة. أتظنني غبية ولا أدرك ذلك؟».

وضع يده على كتفها وقال: «آسف عزيزتي، لأنك غاضبة. لكن لم يبدُ لي أن عناقي أزعجك منذ لحظات، بل على العكس».

بدا صوته منخفضاً وعميقاً، وظهرت تعابير من الندم في نبرة صوته، ما جعل الأمر يبدو أكثر سوءاً.

- أحقاً؟

شد بقوة أكثر على كتفها وأجاب: «ماذا تقصدين بقولك؟».

أبعدت أليسا يده، ثم وقفت وهي تقول: «أمضيت عمري كله بجانب الخيول».

وقف مباشرة أمامها وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين، وقال: «وماذا يعني ذلك؟».

كان هناك تحذير واضح في هذه الكلمات، لكنها لم تعد تهتم. الإنذار الوحيد المهم هو الذي كان عليها ان تصغي اليه قبل أن تستسلم لعناقه بلهفة كما فعلت.

قالت آملة أن تتمكن من إخفاء انجذابها نحوه: «أعرف كل تلك النظريات عن أفضل وسيلة لجعل أنثى الفرس تستسلم له».

ساد الصمت في الغرفة، وبعد قليل قال لوكاس بصوت بارد: «هل تعتقدين أنني أتودد إليك لأجبرك على طاعتي؟».

لم تجب أليسا، فتابع بغضب: «أليسا! أهذا ما تفكرين به؟».

نظرت إليه، وسمعت رنة الغضب في كلماته. لم تدرِ بما عليها تفكر، لكنها متأكدة من أن الاعتراف بأي شك سيدل على ضعفها وترددها.

قالت بصوت هادىء: «ما أعتقده، هو أنني ارتكبت غلطة كبيرة بمجيئي إلى هنا».

نظر إليها للحظات طويلة، وبدا وجهه قاسياً كالصخر، ثم هز رأسه وقال: «ربما أنت على حق، لكنها ليست أسوأ غلطة ممكنة. فما زالت المشكلة قائمة ونحن نحاول حلها معاً».

- وهل ستتمكن من ذلك؟

- ليس إذا استمريت في إثارة أعصابي.

بدت الكلمات ذات معنى مزدوج، وكأنه قصد معنى مختلفاً جداً.

- كان عليّ تصديق جدي عندما قال لي إنك أشبه بفرس أصيلة تحتاج إلى من يروّضها.

تلون وجهها بلون زهري، وتساءلت هل ما يقوله صحيح. بدا لها كلامه بارداً، كأنه يتحدث عن فقرة في إعلان ما.

لم تعد أليسا تستطيع مقاومة غضبها، فاندفعت نحوه، وهي ترفع يدها، لكنه أمسك بمعصمها وأدار ذراعها إلى خلف ظهرها.

قالت له: «كنت في هذا السرير لأنني شعرت بالأسف نحوك، والله وحده يعلم لماذا تصرفت بهذا الغباء! أنت من حوّل ذلك التصرف البريء اللطيف إلى درس في الإغواء».

ظهرت ابتسامة ماكرة على شفتيه وقال: «إغواء؟ ما حدث هنا هو نفسه ما حدث في النهار الذي التقينا به. لم تستطيعي السيطرة على نفسك هنا كما لم تستطيعي السيطرة على ذلك الحصان».

قالت بصوت كالفحيح: «وغد، أناني، متوحش...».

حاولت أن تضرب عينيه بيدها الحرة. لكن لوكاس أمسك بها، وجذبها إلى خلف ظهرها، ثم أمسك بيديها معاً، ما جعلها تقف على رؤوس أصابع قدميها.

- هل تعتقدين أنني احمق، عزيزتي؟ لا شيء تفعلينه سيقنعني بالموافقة على ذلك الشرط الملزم الذي تصرين على أنك لا تريدينني أن أنفذه.

- أفضل أن أتزوج من...

- هذا ما قلته قبل الآن.

ابتسم لوكاس، مع أن عينيه بقيتا باردتين وهو يتابع: «تعرفت على عدد كبير جداً من النساء الذكيات، لذلك لن أتأثر بك مطلقاً».

شهقت وهي تحاول أن تخلص نفسها من قبضته: «رأيت واحدة منهن، أتذكر؟ تلك المخلوقة السخيفة ذات الشعر الأبيض، والدماغ الذي يزيد عن حجم حبة البندق!».

ابتسم لوكاس وعلق: «وصف ممتاز، عزيزتي. لكن على الأقل هي تعترف بما تريده عندما تدعو الرجل إلى معانقتها».

تركها وسار مبتعداً نحو الباب وهو يتابع بتجهم: «غداً، سأتكلم مع المحامين».

قالت كأنها ترميه بالكلمات: «بل اليوم. على الأقل، قلت أخيراً شيئاً يدل على الذكاء».

- والآن سأخبرك شيئاً أكثر ذكاء: أنا متأكد أنهم سيجدون أن العقد بأكمله مهزلة وأنني غير مسؤول قانونياً عن أي شيء.

- أنت مسؤول عن المال الذي تدين لي به.

- بل شركتي هي المدينة، وهي ليست مدينة لك. بل لنورتون كمنفذ للعقد.

- يمكنك اللعب على الكلام قدر ما تشاء. أقدم جدك على ابرام ذلك الاتفاق وأنت عالق فيه.

لمعت عيناه بقوة وقال: «لكن ليس معك، عزيزتي».

حدقت إليه بغضب وهي تقول: «ثق يا سمو الأمير أن الشعور متبادل. متى ستقابل محاميك؟».

فكر لوكاس: إنه لأمر مذهل. لا بد أنها تعلم أنها على شفير خسارة المعركة، ومحاموه سيجدون وسيلة لإبطال العقد بأكمله، لكنها لا تزال تتصرف وكأنها ند

له.

لقد كانت كذلك أثنا عناقهما، وهذا الأمر أسعده، فعلى الرغم من معرفته للعديد من النساء، غير أنه لم يشعر مرة بما شعر به تجاهها. لقد شعر... شعر...

- أريد أن أعلم متى سيتم ذلك الاجتماع! وبالطبع، أريد الذهاب معك.

هي تريد الذهاب معه؟ كاد لوكاس ينفجر بالضحك. لا حق لديها بحضور الاجتماع مع محاميه، تماماً كما أنه ليس لديها الحق بالاستمرار بالادعاء أنها تملك المزرعة الكبرى.

لكنه قال بضيق: «كوني في الطابق الأرضي بعد ساعة واحدة، وكوني دقيقة عزيزتي، فأنا لا أحب أن أنتظر أحداً».

قالت أليسا بنعومة: «صحيح، أعلم كم تحب أن تسرع في تنفيذ ما تريده».

علمت على الفور أنها بالغت في إثارة غضبه. تبدل لون عينيه من الذهبي إلى الأخضر، وبدت عظام وجنتيه بارزتين من شدة الغضب.

قال بصوت ناعم: «أحقاً؟».

تراجعت إلى الوراء، وقالت بصوت مرتعب: «لا!».

لم يتأثر لوكاس بخوفها، بل أمسك بها وشدها إليه. قاومت لتتمكن من التخلص منه، لكنه امسك بوجهها بيد واحدة، وقال لها ببرودة: «ساعة واحدة، وإلا سأغادر بدونك».

ثم أبعدها عنه بقسوة، وأغلق الباب وراءه بقوة محدثاً صوتاً حاداً. لم تتحرك أليسا من مكانها لفترة، بعدئذٍ رطبت شفتيها الجافتين بلسانها، فهي ما زالت تشعر بقربه، وبقوة عناقه.

أغمضت عينيها وقد أحست بخيبة أمل كبيرة.

استحمت بسرعة وارتدت الثياب نفسها التي كانت ترتديها في تلك الأمسية عندما أخذها لوكاس معه من المزرعة. تساءلت متى حدث ذلك. منذ يوم، يومين أم ثلاثة؟ لقد فقدت الإحساس بتسلسل الأحداث. لا بد أن إحدى الخادمات قامت بغسل ثيابها ثم كوتها. بالرغم من ذلك ما زالت تلك الثياب

تبدو رثة، لكنها على الأقل أصبحت نظيفة. على أي حال، هي لا تهتم مطلقاً لذلك. من يهتم لما ستبدو عليه؟ ومن المؤكد أنها لا تبالي.

غادرت غرفتها قبل خمس عشرة دقيقة من انتهاء الساعة المحددة، بعد أن فكرت بالأمر ملياً. بدا لها أن الحل الأنسب، هو أن تصل إلى قاعة الاستقبال قبله لتنتظره، وهكذا سيكون هو من تأخر.

لكن لم يحالفها الحظ...

وجدته في قاعة الاستقبال الواسعة، يجلس بارتياح على مقعد كبير من الجلد والخشب، ذكّرها بالكرسي الملكي. لا بد أنه تعمد ذلك، بدون أي شك، كما فكرت ببرودة.

نهض من مكانه عندما رآها، وأدركت أليسا على الفور أنها كذبت على نفسها عندما قالت إنها لا تهتم لما تبدو عليه، فلوكاس يبدو... لمَ لا تعترف بذلك؟ يبدو فائق الوسامة. بذلته ذات اللون الأزرق السماوي صُنعت خصيصاً لتلائم كتفيه العريضتين، وخصره النحيل، وساقيه الطويلتين. وقد ارتدى تحتها قميصاً أبيض اللون وربطة عنق من الحرير بلون الكستناء. بإمكانها أن ترى أنه استحم أيضاً، فما زالت هناك بضع قطرات من الماء تلمع كحبات الماس الصغيرة في شعره الأسود الداكن. كما أنه حلق ذقنه، فاختفت لحيته التي لم يحلقها منذ أيام، والتي كانت تغطي ذقنه.

- أنت بحاجة إلى ثياب جديدة.

رفعت أليسا كتفيها إلى الأعلى وقالت: «لست بحاجة إلى أي شيء منك، سمو الأمير».

لمعت عيناه بوميض من الخطر والغضب.

- أنت بحاجة إلى ثياب وإلى التصرف بأخلاق حسنة. سنذهب الآن للقاء ريكاردو ماديرا. ولن تتحدثي معي من دون احترام، كما أنك لن تجادلي مطلقاً ما سأقوله.

قالت له ما إن صعدا إلى المقعد الخلفي في سيارة الرولس رويس السوداء الطويلة: «كما أنني لن أنحني أمامك. أقترح عليك ألاّ تنسى ذلك مطلقاً».

ضحك لوكاس لكلامها وأثار بذلك دهشتها.

- كان عليّ أن أعرف أنك تحملين دماء إسبانية، حتى لو لم يخبرني أحد أن اسم عائلتك مونترو.

- أكره أن أخيب أملك، لكن دمائي من تكساس، وهي نقية جداً. فتاريخ عائلة مونترو يعود إلى أربعة قرون مضت في العالم الجديد. أنا حفيدة المحتلين الأوائل.

- وماذا عن والدك الحقيقي؟ مونترو؟ هل طلق أمك؟

- توفي عندما كنت في الثانية من عمري.

- إذاً أنت لا تذكرينه.

هزت رأسها. فهذا الأمر من الأمور المحزنة في حياتها، إذ ليس هناك أي ذكرى لوالدها الذي أحبها من دون شك، وما كان ليعاملها كما كان يعاملها لوسيوس، بجفاء وبرودة.

قالت: «لا. لا أذكره البتة».

- ومتى تبناك ماكدونوف؟

- عندما تزوج أمي. كنت في الرابعة من عمري.

لمَ تُخبره بذلك كله؟ لم تتحدث يوماً عن حياتها مع أي كان. خسارتها لوالدها الذي تحبه، وتربيتها على يد والد لا تحبه أمر يعنيها وحدها.

- ألم يكن لطيفاً معك؟

- لا أعتقد أن أي أمر يتعلق بي هو من شأنك.

- لا فكرة لدي إن كان من شأني أم لا، حتى أتحدث إلى ماديرا.

- حتى نتحدث إليه. هذا الوضع لا يحتمل، ويجب إنهاؤه.

فكر لوكاس: لا يحتمل! أتراها حقاً لا تحتمل البقاء بقربه، وتعيش لحظات من السعادة والحب معه، وأن تعلم أنها خطيبته؟

انعطفت السيارة نحو طريق تمر عبر التلال الخضراء المزدانة بعدد من الفيلات الأنيقة، التي تحيط بها أشجار البرتقال واللوز، فتبدو كقصور خلابة.

رأت أليسا من خلال اللافتات التي تمر أمامها، أن ماربيلا هي المكان

المقصود الذي يتجهون إليه. وهذا يفسر رائحة البحر التي تشمها. لم تزر أليسا يوماً أسبانيا من قبل، لكنها تعلم أن ماربيلا تقع في القسم الجنوبي من إسبانيا، على ضفاف البحر المتوسط، تواجه عبر ممر ضيق سحر وطنجة وغموضها.

علمت أن هذا المكان هو ساحل الذهب، حيث تقع منازل وأماكن إقامة أثرياء إسبانيا وقارة أوروبا. فهنا تربى الخيول الباهظة الثمن، وهنا يتم استيلادها، أما الخيول الأندلسية من النوع الذي تربيها أسرة ريبز، فهي مشهورة بأنها الأغلى ثمناً، ولا بد أن ثمن أراضي ريبز هنا لا يقدر ولا يحصى.

بالطبع، بإمكان لوكاس تحمل كل هذه النفقات. صحيح أنه لا يملك قلباً، لكن لديه من المال، السلطة والكبرياء ما يكفي أكثر من ألف رجل.

- معظم مزارع تربية الخيول تتواجد في المناطق الداخلية، لكنني أفضل المناطق القريبة من الساحل.

نظر لوكاس إليها بمكر عندما استدارت لتواجهه، ثم تابع قائلاً: «هذا ما كنت تفكرين به، أليس كذلك؟ لماذا أربي الخيول هنا؟».

- ولمَ يجب أن أفكر بالخيول التي تربيها؟

- لأنك تدّعين أنك ماهرة بركوب الخيل.

- أنا فعلاً ماهرة بذلك، سنيور.

قال بسخرية مطلقة: «لا شك بذلك مطلقاً، يمكنني أن أشهد على ذلك من خلال سيطرتك على ذلك الوحش الأسود».

- بيبي من سلالة عريقة، كما أن تلك لم تكن غلطته.

- ربما سلالة بيبي تعود إلى أيام الديناصورات، لكنك على حق، لم تكن تلك غلطته بل غلطتك أنت.

- هذا يبرهن أنك لا تعرف إلا القليل عني.

تباً! لا يستطيع لوكاس أن يلومها إن تهجمت عليه، فهو أيضاً ما زال غاضباً. لو أنه فقط يستطيع أن يمحو من ذاكرته صورتها وهي بين ذراعيه، ترتجف وتبادله العناق. ثم بعد فترة قصيرة، تقول له بصوت يكاد يحول الماء إلى جليد، بأن يبتعد عنها.

بعد ذلك، وفيما هو جالس قربها، غمره شعور برقة وعاطفة لم يشعر بهما من قبل. أحس بشوق يدفعه ليبقى بقربها إلى الأبد. إلا أنها سارعت إلى إهانته، وأفهمته بوضوح أن عناقهما الحار لم يعنِ لها شيئاً، وهذا ما أغضبه وجعله يرد عليها بتلك الإهانات. ربما كان ذلك أفضل، هذا ما فكر به بينما كانت سيارة الرولس رويس تتمهل ثم تقف في ساحة أمام فيلا بيضاء اللون تحيط بها أشجار النخيل.

موقفها هذا هو ما دفعه للاتصال بالهاتف ليحدد هذا الموعد.

فتح باولو الباب، فخرج لوكاس من السيارة ومدّ يده إلى اليسا التي تجاهلته.

- اعتقدت أن محاميك في مدريد.

- إنهم هناك. لكن مادیرا سيسافر إلى هنا بالطبع.

قالت بسخرية: «بالطبع».

- لكن شاء الحظ أن يكون في ماربيلا في عطلة نهاية هذا الأسبوع، لذلك سيلقانا في مكتب صديق له. حسناً! هل ستخرجين من السيارة أم أنك ستبقين هنا متجهمة الوجه؟

رفعت أليسا رأسها، ثم أبعدت يده، وخرجت من السيارة إلى الساحة المرصوفة بالحصى.

فكر بانزعاج، هذا جيد! فهي تريد أن تظهر أنها تستطيع بسهولة أن تنسى أي ارتباط عاطفي بينهما، وهذا أمر مذهل. سيعمل مادیرا على مراجعة العقد، وسيوافق على أن ذلك الشرط الملزم اللعين غير شرعي، وسيعترف أنه أضافه فقط لأن فليكس أصر عليه. سيدفع لوكاس المال الذي تدين به شركة ريبز إلى ثاديوس نورتون، منفذ وصية ماكدونوف. بعد ذلك، وبما أنه المالك الجديد لمزرعة لا يريدها، سيقدم على القيام بعمل خيري ويقدمها إلى أليسا مونترو ماكدونوف، فترحل هذه المرأة نحو الجحيم، وهكذا يتخلص من وجودها في حياته نهائياً.

افترض أنه يستطيع القيام بذلك من دون استشارة محاميه، لكن ذلك سيثبت أن فقرة الزواج قانونية ورسمية. وإذا تعافى فليكس... لا... عندما يتعافى

فليكس قد يغضب منه، لكن لوكاس سيتعامل مع تلك المشكلة عندما تقع.

* * *

فكر لوكاس بعد مرور ساعتين، أنه حسناً فعل لأنه لم يبتسم فعلياً قبل أن يدخل المكتب.

عبّر مادیرا عن أسفه لمرض فليكس، فشكره لوكاس. ثم قدم لهما القهوة، لكن لوكاس أبعدها جانباً وسلم المحامي نسخة عن العقد الذي قدمه له ثاديوس نورتون.

لم يزعج مادیرا نفسه بالنظر اليه.

- وصلتني كل ملفات جدك بواسطة الفاكس سمو الأمير، في اللحظة التي اتصلت بي فيها.

- جيد! لأنني لا أريد إضاعة الوقت. وأريد أن أعرف رأيك القانوني في هذه المسألة في أسرع وقت ممكن.

ابتسم لوكاس بثقة وهو يتابع: «بالطبع، أدرك أن هذه الأوراق ليست شرعية. أو أن جزءاً منها ليس كذلك بكل الأحوال، لكن بالطبع، لا بد أنك تعلم ذلك، ما دمت أنت من كتبها».

ابتسم مادیرا بتهذيب، وأجاب: «لست معتاداً على كتابة عقود غير شرعية لزبائني، سمو الأمير. لو أنك تعطيني فقط بعضاً من وقتك..».

مرت ساعة، وبدأ لوكاس يشعر بصبره ينفد بينما كان المحامي يقرأ. دمدم، اعترض محركاً رأسه، ثم كتب عدداً من الملاحظات...

أخيراً رفع مادیرا رأسه، ونظر إليه. ثم قال: «هذا العقد شرعي تماماً، لكنه غير ملزم».

رد لوكاس بسرعة: «لكن المغزى واحد؟».

تراجع مادیرا في كرسيه إلى الوراء، واضعاً إحدى ساقيه فوق الأخرى، ثم أمسك بذقنه وابتسم.

- لا! على الإطلاق، سيدي. يضم العقد فقرات وافق عليها كل من جدك ولوسيوس ماكدونوف. هل هي قانونية؟ مئة بالمئة. هل هي غير ملزمة؟

صحيح. أعلمت فليكس بتلك الحقيقة في ذلك الوقت.

شعر لوكاس بعضلة تنبض في فكه.

قال بحذر: «ما الذي تقوله، فكلامك يحمل معنيين؟».

- ما أقوله، سمو الأمير، إن هذه الاتفاقية تمت صياغتها بمهارة عالية.

- لنصل إلى صلب الموضوع.

نظر الرجلان إلى أليسا عندما تكلمت. فكرت بانزعاج، بالطبع، فقد نسيا تماماً أنها موجودة معهما في المكتب. تابعت: «أنت تقول إن هذا العقد ليس غير شرعي، لكنه كذلك. فبيع النساء كما كان يحدث أيام العبودية أصبح أمراً غير شرعي، ومنذ عقود في الواقع».

توقفت عن الكلام قليلاً قبل أن تضيف بكل تأكيد: «... في بلادي، بكل الأحوال».

قال لوكاس بحدة: «لم يحاول أحد بيعك مقابل أي شيء».

هز المحامي رأسه، وقال: «بالتأكيد».

- الآنسة ماكدونوف على حق، ماديرا. لندخل في صلب الموضوع. أنا أملك المزرعة الكبرى.

- لا.

- حسناً! بالطبع أقصد أنني سأصبح المالك ما إن أقرر أن أدفع المبلغ المتبقي من السعر.

- وتتزوج من السنيوريتا الرائعة.

- هذا كلام مثير للسخرية.

سمع صوت أليسا ولوكاس معاً، وكأنهما تحدثا بصوت واحد. وضع ماديرا يديه فوق معدته وتنهد.

- هذا بالتحديد ما حاولت أن أقوله لجدك.

- حسناً! إذاً؟ أين هي المشكلة؟

- المشكلة هي من الناحية القانونية، العقد هو العقد، إنه اتفاق بين المتعاقدين وهذا هو المهم.

قال لوكاس بغضب: «ها قد عدنا إلى الكلام المزدوج المعنى».

هز ماديرا رأسه وقال: «ما أريد قوله يا سمو الأمير، إلغاؤه لا يتم إلا من قبل من وقع عليها».

نظر المحامي إلى أليسا وتابع: «وأحد الفريقين توفي».

ثم نظر إلى لوكاس وأكمل: «والفريق الآخر عاجز وغير مؤهل لنقض العقد».

علق لوكاس بصوت هادىء: «اذاً، ما الذي تقوله لي، ماديرا؟ أتقصد إنه قد تكون هناك أسباب تجعل عقوداً غير ملزمة، ملزمة؟ يعتبر هذا كلاماً تافهاً حتى من قبل محامي.

- دعني اسألك أمراً أيها الأمير لوكاس. تحدثنا أنا وجدك عن نقل سلطته إليك عبر وكالة لدى كاتب العدل، لكن لا يبدو أن هناك أية أوراق تثبت ذلك في ملفه.

- وما علاقة ذلك بهذه المشكلة؟ فأنا أمثل شركة ريز، لا جدي.

- صحيح، لكن الأمير فليكس هو من وقع الاتفاق باسمه الشخصي، وليس باسم الشركة.

توقف ماديرا عن الكلام للحظة، ثم تابع: «بالطبع، يمكنك ببساطة أن تتنكر للعقد».

- بألاّ أدفع المال المتبقي لتسديد الحساب؟

أصدرت أليسا شهقة مخنوقة فنظر الرجلان إليها.

قالت بحذر: «من دون المال، سيستولي المصرف على المزرعة».

أجاب المحامي: «لسوء الحظ، هذه ليست مشكلة الأمير لوكاس».

قال لوكاس ببرودة: «لا، ليست مشكلتي».

نهضت أليسا على قدميها، وقالت: «على الرغم من كل شيء، أعلم أن هناك إنساناً شريفاً في مكان ما بداخلك».

شحب وجه المحامي وقال: «سنيوريتا ماكدونوف!».

- أعلم ذلك لأنني أعلم كم تحب جدك. من المؤكد أن هناك وسيلة ما.

- كي تحصلي على مالي وعلى شهرتي؟ آسف، عزيزتي. ليس هناك أية وسيلة. مع أنني أعترف أنها محاولة جيدة.

نظرت أليسا إليه لدقيقة طويلة، ثم لمعت عيناها. هل رأى في داخلهما غضباً أم إحباطاً أو ربما رأى خيبة أمل كبيرة؟

من دون أن تتفوه بأية كلمة أخرى، اندفعت خارجة من المكتب.

راقبها لوكاس تغادر. ثم أطلق شتيمة بصوت واضح، وقفز عن كرسيه وسار وراءها.

٩ - أميرها!

ركض لوكاس على الدرج، ثم خرج من الباب الرئيسي للمبنى ووصل إلى الساحة. لم يكن هناك أي أثر لأليسا. يا إلهي كيف يمكن للمرأة أن تختفي في ومضة عين؟ هذا ما حدث بالفعل، وفي فترة لا تجاوز اللحظات. بل أقل من لحظات. لقد خرج وراءها على الفور.

- أيها الأمير لوكاس! سمو الأمير!

همس السائق بالكلمات همساً، لكنها انتقلت بسرعة عبر الهواء الساكن الدافىء، فتوقفت بالقرب منه امرأة تتنزه برفقة كلب بودل. حدقت المرأة بباولو وهو يشير بطريقة غريبة ويسرع نحو لوكاس.

- ناديت الآنسة ماكدونوف سيدي، لكنها مرت أمامي ولم تكترث بي.

سأل لوكاس، وهو يدير ظهره إلى المرأة والكلب: «في أي اتجاه ذهبت؟».

- من هناك سيدي، ذهبت باتجاه المنعطف.

حسناً! ليدع أليسا تهرب. سيكون ملعوناً إن سمح لنفسه بأن يتصرف كالأحمق ويقوم بملاحقتها. لا مجال مطلقاً لأن يقدم على... لا مجال مطلقاً...

قال بغضب: «تباً!».

وبدأ بالركض وراءها.

ما إن وصل إلى المنعطف وتجاوزه بعدة خطوات حتى رآها.

فالجميع هنا يسيرون بهدوء بينما هي تركض بسرعة. بالإضافة إلى أنها المرأة الوحيدة في هذه المنطقة الراقية التي ترتدي سترة من الجلد وسروالاً أسود، وتنتعل حذاء عالي الساقين، بينما يتطلب هذا النهار ثياباً قطنية، وقمصاناً

www.el-romancia.com

قصيرة الأكمام وسراويل قصيرة أو فساتين مشرقة الألوان. بالإضافة إلى أحذية رياضية أو خفيفة.

فكر لوكاس أنها حقاً بحاجة إلى ثياب جديدة. ثم حرك رأسه متأففاً من تلك الفكرة التي لا علاقة لها مطلقاً بما يجري الآن. إنها تهرب مبتعدة عنه، فلِمَ يهتم بثيابها؟

خفف من سرعة خطواته حتى أصبح كمن يسير على عجل، بعد أن لاحظ أنه جذب إليه ما يكفي من العيون الفضولية. من الأفضل له أن يسير بخطوات واسعة أكثر منها، وهكذا سيتمكن من الإمساك بها بعد دقيقة أو دقيقتين. غير أن أليسا اختارت تلك اللحظة لتنظر إلى الوراء، فالتقت عيونهما. بعدئذٍ استدارت، وبدأت بالركض من جديد.

دمدم لوكاس: «تباً لما يحدث!».

صرخ باسمها، لكن صوته لم يوقفها بل جذب المزيد من الأنظار إليهما. يا إلهي! ها قد أصبح الآن الرياضي الأول في ماريبلا.

صرخ مرة ثانية: «أليسا!».

ثم أطلق شتيمة، واستأنف الركض وراءها.

في الوقت الذي وصلا إلى تقاطع طرق، لم يكن لوكاس يبعد عنها سوى مسافة ذراع واحدة.

عندئذٍ، أصبح كل شيء ضبابياً...

قفزت أليسا فوق حاجز عند حافة الطريق، وسُمع صوت نفير يدوي من شاحنة حمراء تسير على الطريق بسرعة فائقة نحوها. صاح لوكاس بها، وقفز فوق الحاجز وراءها. جذبها نحوه بقوة، ثم سقطا معاً. تدحرجا على الأرض، وسرعان ما توقفت الشاحنة قربهما وما زال نفيرها يدوي. كانت الشاحنة قريبة جداً حتى إنه اشتم رائحة المطاط التي سببها استخدام المكابح القوية، كما شعر بالغبار والحصى المتطايرة تضرب وجهه.

للحظة بدا له أن العالم كله تجمد في مكانه. لم يعد باستطاعة لوكاس سماع أي شيء سوى دقات قلبه ودوي رأسه.

همس: «أليسا».

استدارت أليسا بين ذراعيه، ولفظت اسمه من بين تنهداتها.

أغمض عينيه، وضمها إليه، ثم قال بصوت عميق وحزين: «عزيزتي... يا إله السماوات! عزيزتي».

توقفت الشاحنة، ثم ركض السائق وانحنى بالقرب منهما وهو يقول: «هل أنتما بخير؟».

هز لوكاس رأسه، ثم أمسك رأس أليسا بين يديه، وقرّب وجهها نحو انحناء عنقه.

- قفزت المرأة أمامي فجأة، ولم أستطع...

- أجل أعرف ما الذي حدث. لم تكن تلك غلطتك.

- هل أنت بحاجة إلى سيارة إسعاف؟ أو إلى طبيب؟

همست أليسا ودموعها تنهمر بغزارة على عنق لوكاس: «لا! من فضلك... لا سيارة إسعاف، ولا طبيب».

هز لوكاس رأسه مرة ثانية. بدا له أن هذا كل ما هو قادر عليه، ثم قال: «لا بأس، نحن بخير».

ثم وقف على قدميه وهو يحمل أليسا بين ذراعيه. تجمع حشد من الناس حولهما، لكنه تجاهلهم، فالشيء الوحيد الذي يهمه هو ليسا. إنها بأمان وقد استعادها له، وأي أمر آخر ليس بذي أهمية!

توقفت سيارة الرولس رويس بجانبهما. أخرج باولو رأسه من النافذة، وقد بدا وجهه شاحباً جداً.

- سيدي، تبعتك بالسيارة. لم أعلم إن كان هذا ما تريده، لكن...

قال لوكاس بنعومة: «باولو، عملت للتو على مضاعفة أجرك».

بنعومة وحذر وضع أليسا على المقعد الخلفي الواسع، ثم صعد ليجلس بجانبها.

- خذنا إلى المنزل، باولو.

وعندما مدّ يديه إلى أليسا، ارتمت مباشرة بين ذراعيه.

حملها إلى داخل المنزل، تماماً كما فعل في اليوم السابق. بالأمس كانت متوترة بين ذراعيه، أما الآن فذراعاها تحيطان بعنقه ووجهها مدفون في صدره. فكر لوكاس أنه سيشعر بالمتعة في حياته لو أنه يستطيع حملها بهذا الشكل إلى الأبد.

رفعت دولوريس يديها إلى الأعلى وبدأت بإطلاق عدد من الأدعية عندما رأتهما. بالكاد يستطيع لوكاس لومها، فسرواله ممزق، وكذلك سروال أليسا، وقد بدت منه ركبتها وفيها خدش طويل مغطى بالدماء. سترتها وقميصها ممزقان أيضاً، وقد بدأ ورم بالظهور في جبهتها.

- سنيور! آه! ما الذي حدث؟ السيدة المسكينة...!

- اتصلي بالطبيب، من فضلك، دولوريس.

- لا! لوكاس، لست بحاجة...

أوقف لوكاس اعتراضها قائلاً: «من أجلي، عزيزتي. أريد أن أسمع الطبيب يقول إنك بخير».

وبينما أسرعت دولوريس للقيام بالاتصال الهاتفي، حمل لوكاس أليسا إلى جناحه في الطابق العلوي. وضعها بعناية في سريره الكبير الذي تحيط به الستائر، ثم اختفى داخل غرفة الحمام الرئيسية. خرج بعد لحظة وهو يحمل وعاء من المياه الدافئة مع قطعة قماش ناعمة ومنشفة من الكتان.

- هل يمكنك الجلوس، عزيزتي؟

- لوكاس... بإمكاني القيام بذلك بنفسي.

- بالطبع تقدرين على ذلك. أنا أعلم أنك تقدرين، فأنت امرأة قوية وشجاعة. يمكنك القيام بأي شيء تعقدين العزم على فعله...

رفعها بنعومة لتجلس بارتياح واضعاً خلفها عدداً من الوسائد. ثم وضع قطعة القماش في الماء، وعصرها قليلاً، ومسح الغبار وآثار الخدوش عن وجهها بنعومة لا يمكن توقعها من يديه الكبيرتين القويتين.

تابع بصوت ناعم، لكنه يحمل في ثناياه نبرة آمرة ومتسلطة: «لكنني أريد القيام بذلك، وأنت ستسمحين لي. والآن، أغمضي عينيك. جيد! هناك جرح صغير هنا...».

استسلمت أليسا للمسة أميرها الإسباني. فكرت، يا له من رجل غامض، لا يمكن التنبؤ بما سيفعله! أولاً بدا كأنه يطلب السماح منها، ثم أظهر بوضوح أنه سيفعل تماماً ما يريده، ولا يهتم بما ستجيبه به.

جالت أصابعه على وجهها برقة، كأنها لمسة جانحي فراشة.

كم هو متكبر.. أميرها هذا، وكم هو رائع!

اعتقدت في البداية أنه يتصف بأنانية وتسلط لا حدود لهما، لكن تبين لها أنها مخطئة تماماً. فلوكاس يضع في سلم أولوياته حاجات الآخرين قبل حاجته. هذا ما يفعله مع جده، والآن معها.

أميرها رجل مدهش. ذو شخصية معقدة، كريم، و... شديد الجاذبية. لو أنهما التقيا في ظروف أخرى... لو أنها تستطيع أن تعود في الزمن، وتمنع عقد ذلك الاتفاق اللعين، ثم تقابل أميرها كامرأة حرة لا مجبرة بموجب اتفاق ملزم لكليهما... تنهدت أليسا، فجمدت يد لوكاس.

- هل أسبب لك الألم، عزيزتي؟

هزت رأسها لتقول له إنه لا يفعل. فهي لم تثق بنفسها كي تتكلم من دون يظهر ما تشعر به في نبرة صوتها.

متى أصبح هذا الرجل أميرها؟ إنه فعلاً كذلك في قلبها، وهذا الاحساس ليس مزحة أو أمراً عابثاً وعابراً. التقيا لأن جده ووالدها اخترعا تلك الاتفاقية التي تجعل حتى الشيطان يضحك، وقد أحضرها إلى هنا لأنه أراد بيأس أن يجد طريقة للتخلص من ذلك العقد، مثلها تماماً. غير أنها لم تعد تريد التخلص منه، ليس بعد الآن...

- لوكاس...

- سمو الأمير! وصل الطبيب.

نهض لوكاس بسرعة. عرّفها على الطبيب، ثم تجهم وجهه عندما طلب منه هذا الأخير أن يغادر الغرفة. إلا أنه غادرها فقط بعدما لمست أليسا يده، وقالت إنها ستكون بخير.

عاينها الطبيب بدقة ثم طرح العديد من الأسئلة، وبعد أن سمع القصة

كلها... حسناً! ليس القصة بأكملها لكن ما يكفي ليقول لها إنها كانت امرأة محظوظة جداً. ثم وصف لها مرهماً للجروح ودواء لتخفيف الورم الذي بدأ يظهر بسرعة على جبهتها والجرح في ركبتها كي لا تصاب بأي التهاب.

قال الطبيب، ما إن انضم إليهما لوكاس: «ما تحتاجه السنيورينا في الوقت الحالي يا سمو الأمير، هو أن تستحم بالماء الساخن لفترة كافية ثم تنام».

ما إن غادر الطبيب، حتى أغلق لوكاس الباب، ثم جلس على السرير بجانبها.

- آه! عزيزتي...

تنهد قبل أن يتابع بنفاد صبر: «... كدت تموتين! هل تدركين الخطر الذي تعرضت له؟ هل كنت يائسة إلى درجة جعلتك مستعدة للمخاطرة بحياتك من أجل التخلص مني؟».

- لا، ليس الأمر كذلك.

تنفست بعمق وتابعت: «لا علاقة لك بما حدث. بل ما حدث هو أنني مررت بالكثير من المتاعب في فترة قصيرة، وأنا لا أريد التفكير بأي شيء بعد الآن».

ضمها بين ذراعيه وعانقها برقة حتى التصقت به.

- اتهمتك بأمور لا يمكن مطلقاً أن تفعليها. يا إلهي! بعد أن جعلتني أشعر بالسكينة، وساعدتني كي أنام بارتياح.

تلون خداها وقالت: «أنت قدمت لي هدية أيضاً، فلم أكن أعلم... لم أتخيل يوماً أن العناق سيفجر مثل تلك المشاعر الرائعة في داخلي».

عانقها من جديد. ثم وضع جبهته على جبهتها.

- قال الطبيب إنك بحاجة إلى الاستحمام والراحة.

- صحيح!

وببطء مررت يدها على خده.

- سأملأ الحوض بالماء.

من جديد سمعت أليسا في نبرته ذلك المزيج الفريد من الرقة والتسلط معاً.

ابتسمت وقالت: «شكراً لك».

- لكنني لست مرتاحاً لفكرة أن تستحمي بمفردك، عزيزتي.

أمسك بيدها التي تلامس خده، وأدارها ليطبع قبلة على راحتها. وهو يتابع: «فأنت مصابة بجروح ولابد أنك تتألمين».

- إنني بخير، حقاً. سمعت ما قاله الطبيب.

- لم يرَ الطبيب الشاحنة تندفع نحوك، ولم يسمع صوت نفيرها يدوي.

ضمها لوكاس إليه وتابع: «بإمكان دولوريس أو إحدى الخادمات البقاء معك».

- لوكاس. لاأريد دولوريس أو إحدى الخادمات معي في غرفة الحمام.

- هل تعلمين أن أكثر الحوادث تحصل في غرفة الحمام وليس في أي مكان آخر في المنزل؟

- لا أهتم للإحصاءات التي تخبرني بها. لن أستحم أمام أحد.

أبعدها عنه بمقدار طول ذراعه ليتمكن من النظر إلى عينيها، وقال: «إذاً سأساعدك على الدخول إلى الحمام، ثم أتركك لتستحمي بنفسك وأنا سأنتظرك هنا، ولن أغادر الغرفة قبل خروجك».

لم يكن لدى أليسا سوى إجابة واحدة، ابتسمت له فعانقها من جديد.

* * *

ملأ لوكاس الحوض بالمياه الساخنة، وشتم بصوت واضح عندما رأى الجرح في ركبتها والخدوش الأخرى على مرفقيها وساقيها.

هز رأسه بحيرة، وعلق: «يا إلهي! عندما أفكر بما كان سيحدث».

لمست أليسا وجهه وقالت: «لكن لم يحدث سوء، والفضل بذلك يعود إليك».

رفع لوكاس نظره. وفجأة... شعر كأن قبضة تلتف حول قلبه، بل كأن قلبه قد امتلأ بعاطفة رقيقة مفرحة. لم يجد اسماً لما يشعر به، أو كلمة تعبر عنه إلا إذا كان ذلك... إلا إذا كان ذلك...

قال وهو يسرع بالخروج من الغرفة: «الحمام... سأتأكد من المياه».

www.elromancia.com

عندما أصبح بمفرده في غرفة الحمام، تمسك بحافة المغسلة الرخامية ونظر إلى وجهه في المرآة، خائفاً من أن يرى وجهاً غريباً عنه بدلاً من وجهه.

كثيرة هي الأمور التي تحدث معه، وتلك هي المشكلة. إنه قلق على فليكس، كما أنه قلق بسبب ذلك العقد النبي المستحيل والذي لم ينتهِ منه بعد، وهذا الحادث الذي كاد أن يقضي عليها...

امتلأ الحوض الرخامي الأسود بالماء الدافىء. شد لوكاس الصنبور، ثم أدار محرك المياه، وعاد إلى غرفة النوم. حمل أليسا بين ذراعيه، لكنه لم يستطيع أن يخدعها مطلقاً.

سألته بهدوء: «لوكاس ما الأمر؟».

نظر إلى وجهها.. ذلك الوجه الذي كان من قبل وجه إنسانة غريبة عنه، وعادت تلك القبضة لتضغط على قلبه مرة ثانية.

قال: «لا شيء، كل ما في الأمر أنك جميلة جداً».

عانقها وهو يحاول تجاهل ما يشعر به تجاهها. فلقد تعرضت لحادث مخيف، وليس هناك مجال للتحدث على علاقة عاطفية معها الآن. لامس جبهتها والجرح على خدها، فتنهدت بسعادة.

* * *

بعد أن أنهت استحمامها، التفت أليسا بمنشفة بيضاء كبيرة، وعادت إلى السرير. كان لوكاس يجلس هناك بانتظارها، فمدت ذراعيها إليه، تماماً كما فعلت في الليلة السابقة. جلس قربها وضمها إليه ثم عانقها عناقاً رقيقاً ولمس شعرها برفق.

بعد مرور لحظات قليلة، علم من أنفاسها الهادئة أنها استسلمت للنوم. آه، كم يرغب في النوم هو أيضاً! يا إلهي، كم يشعر بروعة ما يحدث له! وهل أجمل من البقاء بقربها والاحساس بها إلى جانبه؟

ما سر هذه المرأة؟ إنها تجعله يشعر ويفكر بأمور لم تخطر في باله من قبل. الحب... الزواج... الأطفال... ها هو يفكر في الزواج وفي إنشاء عائلة. إنه يرغب في إنجاب عدد من الأطفال، لكنه يريد أطفالاً من المرأة

التي ستصبح زوجته.

زوجته؟!

من الأفضل أن يبتعد الآن ويتركها تنام بسلام، عله يستطيع الحصول على بعض السلام والهدوء هو أيضاً.

* * *

- استيقظي واستمتعي بالنور أيتها الكسولة.

غرقت أليسا أكثر تحت الغطاء الناعم ودفنت رأسها بالوسادة.

- من أنت؟ ارحل بعيداً.

قال بسخرية: «ألا تعرفين من أنا؟».

- أتريدني أن أصدق أنك لوكاس ريز؟ لوكاس الحقيقي لا يمكن أن يكون بهذه الفظاظة ليوقظني.

تمددت أليسا وهي تشعر بنعومة الغطاء المصنوع من القطن المصري اللين على جسدها، وتابعت: «وكيف لي أن أعرف أنك هو؟».

تماماً كما تمنت، أمسكت يد دافئة بها وضمتها إلى دفء صدره.

تمتم لوكاس بصوت أجش: «هل اقتنعت الآن؟».

- همم. هل أشم رائحة قهوة؟

- إذا عدت إلى النوم، سأعيد هذه الأشياء كلها من حيث أتت... سأعتبر أنك لا تريدين أي شيء منها.

- القهوة؟

- لا، ليس القهوة أيتها الكسولة. الأشياء الأخرى.

جلست أليسا على الفور، ورمشت بعينيها لتتخلص من النعاس.

- ماذا تعني بالأشياء الأخرى؟

ابتسم لوكاس، وابتعد إلى الناحية الأخرى قائلاً: «هذه».

فتحت أليسا فمها حين رأت عدداً من الصناديق المرصوصة كالأبنية وراءه. صناديق كبيرة وصغيرة. بعضها ملفوف بأوراق لماعة، والبعض الآخر عقدت عليه شرائط ذهبية أو فضية اللون، وهناك صناديق مستطيلة عليها شرائط من

الساتان الأبيض.

- لوكاس!

اتسعت ابتسامته وقال: «افتحي واحدة منها، عزيزتي».

- لكن، ما هذا كله؟

التقط صندوقاً أبيض اللون عريضاً ورماه إليها: «لم لا تكتشفين بنفسك؟»

سحبت أليسا الشريط الفضي، وما لبثت أن شهقت. رأت أن الصندوق مليء بملابس داخلية من الحرير والدانتيل الرائعة الجمال، والتي تبدو مناسبة لمقاسها.

قال لوكاس بتواضع: «لا أعرف أي لون تفضلين، لذلك طلبتها كلها».

- لكن هذا كثير لوكاس! بل إنه...

وضع صندوقاً آخر قربها وهو يقول: «على الأقل ألقي نظرة، وقولي لي إن كان ذوقي يعجبك أم لا».

رمته بنظرة حائرة، وقالت لنفسها بحزم إنها لن تسمح لنفسها في الوقوع... ثم نزعت الشريط.

همست: «آه، لوكاس! آه...!».

- هل هذه الآه تعبير عن الإعجاب أم عن الانزعاج؟

قالت بوقار: «إنها تعبير عن الانزعاج، ولماذا تريد أية امرأة فستاناً كهذا؟ فستان مصنوع من قماش رقيق كأنه شعاع القمر، و... و... آه، يا الهي! إنه جميل جداً».

ضمها لوكاس بين ذراعيه، وقال: «أنت من هي جميلة جداً عزيزتي. أتمنى أن تشرفيني بارتداء هذه الثياب، لأنني سأشعر بالفرح والرضى».

لفت أليسا ذراعيها حول عنق حبيبها.

- هل ستشعر بالفرح والرضى، حقاً؟

ابتسم لها مؤكداً: «أجل».

- وإن قلت، إنني أريد ارتداء ثيابي الخاصة؟

- سأقول لك إن هذه هي ثيابك الخاصة، لأنني طلبت من دولوريس أن ترمي ثيابك القديمة.

- بالطبع. فما الغاية من السؤال ما دمت أعرف أنك ستصرين على الاحتفاظ بها؟

كان يتكلم وهو يضحك فشعرت أليسا أن من المستحيل ألاّ تشاركه الضحك. عادت إليها أفكارها السابقة من جديد. أميرها متكبر ولا يحتمل، فلماذا تحبه بكل الأحوال؟

لأنها تحبه حقاً... تحبه؟! تحبه...؟!

- ليسا... ما الأمر؟

قالت وأنفاسها تكاد تنقطع: «لا شيء... لا شيء... شعرت فقط بقليل من الدوار، هذا كل شيء».

- هل أطلب الطبيب؟ هل يؤلمك رأسك؟ أم ركبتك؟

إنه قلبها! لكن كيف يمكنها أن تقول ذلك لرجل لا يريد سماع شيء من ذلك.

- إنني بخير، حقاً... أنا فقط أشعر بسعادة كبرى لأنك فكرت في تقديم هذه الأشياء الجميلة لي.

علق لوكاس بنعومة: «أحقاً؟ هل تشعرين أنك بخير؟».

- أشعر أنني بألف خير.

قال لوكاس بصوت هادىء: «حسناً! ما دام الأمر كذلك، قلت لجدي إننا سنذهب لرؤيته في المستشفى عند الساعة السادسة».

- جدك؟ هل تحدثت إليه؟

- هذا تماماً ما حصل. قلت له: سنذهب لرؤيتك بعد ساعتين، وأجابني أنه سيشاهد نشرة الأخبار على محطة السي. أن. أن. خلال هاتين الساعتين، وأنه سيتوقع رؤيتنا عند الساعة السادسة تماماً.

- إذاً هو بصحة أفضل.

- إنه متكبر، متسلط ودكتاتوري.

ضحكت أليسا.

- ما الذي يضحكك؟ هل تريدين القول إنني أشبهه؟

ابتسم قبل أن يتابع: «حسناً! ربما أشبهه قليلاً. لكن نعم فليكس أصبح

أفضل حالاً، بل أفضل بكثير».

ثم أمسك بيديها وأكمل: «هل تأتين معي للقائه، عزيزتي؟ الأمر هام جداً بالنسبة لي».

بدا لها أن النهار المشرق قد لفه الضباب.

بالطبع، الأمر هام له. فما إن يتحدثا مع فليكس ريز، حتى يمكنهما إنهاء مسألة العقد لمرة واحدة وأخيرة. سيتخلص لوكاس منها، وهي أيضاً ستصبح حرة بألا ترتبط به. حرة لتعود إلى تكساس، ولا ترى أميرها مرة ثانية.

- ليسا... تباً! لابد أنك تشعرين بسوء ما. أخبريني ما الأمر وسأعالج المشكلة على الفور.

نظرت أليسا إلى عيني حبيبها. إنه رجل صالح، شريف وقوي. لكن حتى لوكاس ريز، أمير الأندلس، لا يستطيع معالجة قلب على شفير الانسحاق.

قالت بنعومة: «ما الأمر؟ المشكلة هي أنك تركت لي نصف ساعة فقط لأرتدي ثيابي. والمرأة بحاجة إلى وقت أطول من هذا، سمو الأمير. وإن لم أكن أنيقة جداً، فما الذي سيفكر به جدك؟».

١٠ - لحظة الحقيقة

بدت غرفة فليكس في المستشفى مريحة جداً، إن تجاهل المرء الآلات وأصوات أجهزة المراقبة الموضوعة قرب سريره. رأت فليكس جالساً، وقد وُضع عدد من الوسائد خلفه. بدا لون عينيه مزيجاً من الألوان الذهبي والأخضر والبني، تماماً مثل عيني لوكاس، لكنه يملك شاربين ولحية بيضاء أنيقة، بالإضافة إلى هالة من السلطة والمهابة تحيط به كعباءة ملكية، لكنها لم تكن كافية لتخفي ضعف وضعه الصحي وهشاشته.

أضاءت ابتسامة وجهه عندما رأى لوكاس، فهتف وهو يفتح ذراعيه له: «بني!».

تعانق الرجلان بحرارة، وشعرت أليسا بغصة في حلقها عندما رأت عمق الرابط العاطفي الذي يجمعهما. لطالما كانت أمها متحفظة، أما والدها... ذلك الوالد الذي تبناها، فنادراً ما أظهر أي اهتمام عاطفي بها. لذلك لم تبق لديها أية ذكريات جميلة تحملها معها.

وخزت الدموع الحارة عينيها، من تنامي إحساسها بخيبة الأمل. رمشت بعينيها في اللحظة التي ابتعد فيها لوكاس عن السرير، ونظر فليكس ريز إليها.

- وهذه بالطبع أليسا!

- سمو الأمير!

- يسعدني لقاؤك جداً، صغيرتي.

- وأنا سعيدة لأنك أصبحت أفضل حالاً.

ضحك فليكس بصوت مرتفع وقال: «مهذبة جداً. من الصعب أن يدرك أي شخص أنك تجنبت القول إنك سعيدة برؤيتي أنت أيضاً».

أحاط لوكاس بذراعه خصرها، وقال بنعومة: «جدي، أمضت أليسا أوقاتاً صعبة جداً مؤخراً».

- أتفهم ذلك، بني. لو كنت مكانها، ما كنت لأشعر بأي تعاطف نحوي، أنا أيضاً.

- لم أقصد مطلقاً عدم الاحترام، سيدي، لكن...

- لكن، لو لم أكن موصولاً إلى كل هذه الآلات اللعينة، لكنت نظرت في عيني وقلت لي بالتحديد ما هو رأيك برجل عجوز تجرأ بوقاحة على التدخل في حياتك. هذه هي الحقيقة ابنتي، أليس كذلك؟

تنفست أليسا بعمق وقالت: «كنت لأقول لك إنك ولوسيوس قمتما بأعمال ما كان عليكما القيام بها».

نظر فليكس بإمعان إليها، ولاحظ كيف يحيط لوكاس خصرها بذراعه، وكيف أن جسديهما يتلامسان قليلاً.

قال بنعومة: «مع ذلك، يبدو أن ما قمنا به ينجح حقاً».

- هذا ليس...

- صلب الموضوع. أعلم ذلك.

ابتسم للوكاس وتابع: «أخبرني لوسيوس أن ابنته تملك روح التحدي، وكان على حق».

قال لوكاس بصوت هادىء: «جدي، هل أنت بخير حقاً لنتحدث عن هذه الأمور؟ لأنك إن كنت بخير...».

قاطعه فليكس: «قال لوسيوس أيضاً إنها جميلة، لكنه أخطأ. إنها فاتنة الجمال».

شعر لوكاس بتوتر أليسا على الفور. فهو يدرك أنها لن تشعر بالارتياح إن راحا يتحدثان عنها وكأنها غير موجودة في الغرفة.

- إنها قوية أيضاً، وجميلة التكوين، وتبدو رائعة لإنجاب الأطفال.

اصطبغ وجه أليسا بلون قرمزي، فيما قال لوكاس بحزم: «جدي! لن أسمح لك».

- عذراً! قصدت ببساطة إنه لأمر رائع أن أرى صحة ما قاله صديقي القديم.

- أجل جدي، أنا متأكد من ذلك، لكن...

- قال لي إن الفتاة ستكون زوجة مثالية لك بني، وكان على حق.

نظرت أليسا إلى لوكاس، وقالت بحذر: «أعتقد أنه من الأفضل أن أنتظرك في الخارج».

شد بذراعه حولها وقال: «لا! تباً، جدي! ماذا تحاول أن تفعل بحق السماء؟».

- ما الأمر، لوكاس...؟ بني، تبدو وكأنك تهتم كثيراً بالفتاة.

- أنا حقاً أهتم بها.

وتابع بصوت أكثر رقة: «أهتم بها كثيراً، ولن أسمح لك بإحراجها».

- هل هذا ما أفعله، طفلتي؟ ماذا عن روح التحدي الذي كنا نتحدث عنه.

- لم نتحدث عن أي شيء سمو الأمير. حتى الآن، لم يتحدث أحد سواك.

- آه، أرأيت؟ هذه هي روح التحدي. وصفك صديقي لوسيوس بدقة متناهية.

قالت أليسا بضيق: «لا يعرف لوسيوس أي شيء عني!».

- كان يعلم أنك جميلة، قوية، ولديك ميل إلى العناد.

- أنا لست عنيدة أبداً.

سعل لوكاس قبل أن يقول: «آه... آه..! أعتقد أن على هذا النقاش أن ينتظر إلى وقت آخر».

قال فليكس متجاهلاً ما قاله حفيده: «وأنك أيضاً تحبين أرضه، وأنك ستفعلين أي شيء للحفاظ عليها حرة مصانة».

أبعدت أليسا ذراع لوكاس عنها وسارت نحو السرير.

- لم تكن أرضه، بل هي أرض أمي.

اختفت ابتسامة فليكس، وقال بلطف: «لا! بل هي أرضه».

- كانت الأرض ملكها وملك أبي الحقيقي، وعندما توفي أبي الحقيقي...

- أليسا، أفترض أنك أتيت إلى هنا لتعرفي لما فعل لوسيوس كل ذلك، لماذا

باع الأرض لي، ولماذا أضاف ذلك الشرط الملزم. هل أنا على حق؟

- أجل تماماً.

- إذاً، أتيت إلى هنا لمعرفة الحقيقة.

- أعرف الحقيقة، أيها الأمير فليكس.

- لا! أنت لا تعرفينها أبداً.

أصبح صوته أكثر رقة وهو يتابع: «ناشدت لوسيوس أن يخبرك الحقيقة، لكنه ظل يقول لي إن الوقت غير مناسب. أعتقد أن ذلك كان الأمر الوحيد الذي لم يتعامل معه بشجاعة وقوة».

تردد لوكاس قليلاً قبل أن يقول: «جدي، أنت مريض جداً. ربما علينا أن نغادر الآن ونتركك لترتاح. يمكننا أن نتحدث بهذا الأمر في وقت آخر».

- من يعلم إن كنا سنحظى بوقت آخر، لوكاس؟ لقد عشت حياة طويلة، وأنا جاهز لما سيحدث لي بعد الآن، لكنني لن أغادر في رحلتي الأخيرة من دون أن أخبر هذه الفتاة، أو أخبرك أنت بما أنتما بحاجة إلى معرفته.

تحرك لوكاس ليقف بجانب أليسا، واضعاً ذراعه حولها من جديد.

- فقط إذا رغبت أليسا في سماع ما ستقوله.

أدار وجهها بأصابعه وتابع: «عزيزتي! الخيار يعود إليك، هل تريدين سماع المزيد؟».

نظرت أليسا إلى عيني حبيبها. كل حدس في داخلها حذرها أن ما ستسمعه سيبدل حياتها، لكن طالما أن لوكاس بقربها، فهي مستعدة لأي شيء.

- نعم. أريد سماع كل شيء.

أحنى لوكاس رأسه ملقياً خده على جبينها للحظة، ثم ابتسم ولمس بإصبعه خدها واستدار نحو فليكس.

- ما الذي يجب أن نعرفه، جدي؟

تردد فليكس قليلاً، ثم ابتلع ريقه قبل أن يقول: «ما الذي أخبرتك به أمك عن والدك الحقيقي، أليسا؟».

- فقط.. أنه توفي عندما كنت في الثانية من عمري.

- وما كان اسمه؟

- لا أعرف. ما أهمية ذلك؟

تنهدت وتابعت: «مونترو، إدواردو مونترو».

قال فليكس برقة: «مع ذلك أنت تحملين اسم الرجل الذي تقولين إنه تبناك، اسم لوسيوس ماكدونوف».

- حملت اسمه فقط لأن اسمه يشتق من المصدر الذي يشتق منه اسمي، ومن الصعب أن يعني ذلك...

- صغيرتي العزيزة. مونترو هو اسم عائلة أمك، ولوسيوس هو والدك الحقيقي.

- لا! تبناني لوسيوس عندما تزوج أمي.

- هو وأمك كانا حبيبين. هي من عائلة ثرية يعود أصلها إلى المحتلين الأوائل، أما هو فكان فقيراً...

هزت أليسا رأسها باستغراب.: «هذا جنون! لماذا كذبت أمي؟ ولماذا كذب لوسيوس؟».

- كانت أمك شابة صغيرة، وعندما علم والداها بحبهما، منعاها من رؤية لوسيوس، لكنها هربت وتزوجت به ثم أصبحت حاملاً...

شهقت أليسا وهي تقول: «حامل؟ هل تقصد... بي؟».

- نعم، صغيرتي. لكن والديها أجبراها على الابتعاد عنه. ثم طلبا منها التخلي عنك عندما تولدين، لكنها لم توافق على ذلك.

اتكأت أليسا على لوكاس، فضمها إليه أكثر.

- عندما ولدت هربت بك بعيداً، حتى وصلت إلى منطقة في الجنوب الغربي للبلاد، وعملت هناك نادلة. في تلك الأثناء، راح لوسيوس يبحث عنكما، لفترة طويلة. وأخيراً عندما وجدكما طلب منها العودة إليه.

همست أليسا: «لوسيوس هو والدي الحقيقي؟».

- في تلك الأثناء، كنت قد أصبحت في الرابعة من عمرك، وسألت عن والدك، فأخبرتك أمك أنه مات.

- لكن لوسيوس وجدنا فلماذا لم يخبرني أنه أبي؟

- لم تسمح له أمك. قالت إن ذلك كثير على طفلة لتفهمه. ظل طوال عمره يشك أنها ربما... فقط ربما... لم تكن تشعر أنه جيد بما فيه الكفاية لتعلن أنه والدك الحقيقي. في مطلق الأحوال، وافقت على العودة إليه إن وعدها بأنه لن يخبرك الحقيقة مطلقاً.

- أهذا استمر في اخفاء تلك الحقيقة؟

- أي خيار كان أمامه، طفلتي؟ أن يتخلى عنكما معاً، أو أن يعيش قربكما، حتى لو كان مضطراً إلى الكذب عليك؟

شعرت بغصة في حلقها تكاد تخنقها، وهمست: «طيلة ذلك الوقت، وخلال تلك السنين...».

- كان يعاملك ببرودة لأنه كان يخاف دائماً أن يضعف ويخبرك ما أقسم على الاحتفاظ به سراً. أما بالنسبة إلى الأرض، فقد اشتراها قطعة بعد قطعة، بذل فيها جهداً جباراً، لكن مرت أوقات سيئة، جفاف وحرائق.. بعد ذلك مرضت أمك وعلاجها قضى على كل المال الذي كان يملكه.

قالت أليسا: «كان عليه أن يخبرني، كان عليه أن يخبرني».

وانهمرت الدموع على خديها.

- أجل، أوافقك الرأي. لكنه كان يخشى أن تكرهيه لأنه جعلك تعيشين تلك الكذبة.

- لكن لماذا باعك المزرعة؟ هو يعلم كم أحبها، ويعلم ما الذي تعنيه بالنسبة لي.

- ويعلم أيضاً أنك لن تقدري على المحافظة عليها. وذلك ما كان يؤلمه، لأن المصرف سيأخذ الملكية الوحيدة التي يستطيع أن يتركها لك وأنت ابنته الوحيدة من دمه ولحمه.

قال لوكاس: «لذلك عرضت عليه شراء المزرعة».

- أجل، كان ذلك حلاً رائعاً. أنا أشتري المزرعة، وبالمال الذي أدفعه أزيل حق المصرف بالحصول على الأرض. بعد ذلك، أدركنا معاً أننا نستطيع القيام

بأكثر من ذلك.

- أتعني ذلك الشرط الملزم؟

- بالطبع. لطالما تمنيتُ أن تحظى بزوجة مناسبة. وتمنى لوسيوس أن تحظى أليسا بالرجل المناسب، رجل يرعاها ويرعى الأرض التي تحبها. وهكذا توصلنا إلى الحل المثالي.

ساد الصمت في الغرفة. صمت لم يخترقه إلا صوت الآلات الكهربائية. بعد فترة، قالت أليسا بصوت مرتجف: «أولاً أخذ لوسيوس على عاتقه إبقاء حقيقة ميلادي سراً... ثم تعمدتما اللعب بحياة شخصين... إذا لم يكن هذا العمل كافياً...».

قال لوكاس بنعومة: «أليسا، عزيزتي. من فضلك، لا تبكي».

قالت: «أنا لا أبكي».

بينما كانت الدموع تنهمر على وجهها.

شعر لوكاس بقلبه يتمزق لأجلها. أراد أن يحملها بين ذراعيه، ويأخذها بعيداً إلى مكان لا تجد فيه سبباً للبكاء أو للشعور بأي شيء سوى الفرح. أراد أن يراها تبتسم، وتضحك. أراد أن يقول لها... يقول لها...

قال فليكس: «إنني متعب، وهذا كافٍ بالنسبة لليوم».

وافق لوكاس ببرودة: «بل أكثر من كاف».

أدار أليسا لتواجهه ثم أمسك وجهها بين يديه وعانقها. إلى الجحيم بذلك الحذر الذي يجعله يهتم بمن ينظر إليه.

- انتظريني في الخارج عزيزتي. هل يمكنك القيام بذلك؟ سأتأخر فقط لدقيقة واحدة. أعدك.

انتظر حتى غادرت الغرفة، ثم عاد إلى جوار جده، ونظر إلى الرجل العجوز.

- قمت بعمل مرعب بإضافتك تلك الفقرة عن الزواج.

- أعلم ذلك.

- لا يمكنك أن تجبر غريبين على الزواج من بعضهما.

- أعلم، أعلم، أعلم. ماذا تريدني أن أقول بعد؟

مدّ لوكاس يده إلى جيبه، وأخرج منها العقد الموقع باسم جده واسم والد أليسا.

- أريدك أن تضع توقيعك في نهاية الصفحة، حيث أضفت ملحقاً.

- وماذا تقول في ذلك الملحق؟

قال لوكاس بهدوء وحزن، وهو يدير العقد نحو فلكس: «أقول إنك توافق على أن تقوم شركة ريبز بدفع كل المستحقات والمتأخرات المفروضة على المزرعة الكبرى إلى المصرف».

- حسناً! ما دامت هذه رغبتك، بني.

تابع لوكاس وهو يشير إلى الملحق: «وإنك توافق على أن تنقل شركة ريبز صك الملكية إلى أليسا ماكدونوف».

تنهد فليكس وقال: «نظارتي وقلمي على الطاولة».

قال لوكاس: «وأن توافق، أيضاً، على أن ذلك الشرط الملزم بشأن الزواج ملغى ولا قيمة له».

- وهل ذلك ما تريده، لوكاس؟

- نعم جدي.

رفع الرجل العجوز يده. فوضع لوكاس النظارتين والقلم في راحة يده.

بعد مرور لحظات، أصبح العقد المعدل والموقع مع العقد الأصلي في جيب لوكاس.

قال لوكاس: «قمت بعمل شائن، أيها العجوز».

بعدئذٍ تنهد، ثم انحنى وطبع قبلة ناعمة على شعر فليكس الأبيض.

- لكنني أحبك مهما فعلت. خذ قسطاً من الراحة الآن، اتفقنا؟ سأمر عليك في وقت لاحق الليلة.

انتظرته أليسا بجانب بركة يسبح فيها عدد من طيور الأوز. كانت تدير ظهرها له، فاستغل لوكاس ذلك، وسار ببطء ليتمكن من مراقبتها. لقد تعرضت لصدمة كبرى اليوم. اكتشفت أنها حكمت دائماً على لوسيوس بطريقة خاطئة، بل أكثر من ذلك.. أنه والدها أيضاً.

بالطبع بكت... لكنه كان ليفعل ذلك أيضاً لو أن مثل هذه الأخبار ألقيت عليه فجأة. مع ذلك حافظت أليسا على رباطة جأشها. حافظت على قوتها، وتمكنت من مواجهة فليكس بشجاعة وكبرياء.

ابتسم لوكاس، يا إلهي! إنها مدهشة! هي جميلة، ذكية، شجاعة، حساسة وعاطفية.

مع ذلك فإن ما تعرضت له ظالم جداً... ظالم له أيضاً. لكن بطريقة ما، لم يعد للأمر أهمية، فليسا هي من عانت بسبب ما حدث.

لكن ليس بعد الآن...

وضع لوكاس يده في جيبه وأمسك المغلف الذي يحتوي على العقد والملحق. انتهى كل شيء الآن. ستحصل ليسا على أرضها بأكملها وستكون حرة التصرف بها.

لم تعد مجبرة على الزواج به، وهو أيضاً لم يعد مجبراً على الزواج بها. بإمكانه أن يطلب من ربان طائرته الخاصة أن يعيدها إلى تكساس، وبإمكانهما أن يضعا كل ما حدث وراءهما، ويتذكراه كمجرد لقاء قصير وفترة فاصلة بين مرحلتين من حياتهما.

في تلك اللحظة استدارت أليسا، فرأته وابتسمت له.

أهكذا سيتذكرها دائماً أم سيتذكرها كحورية رائعة الجمال بين ذراعيه؟

بدأت أليسا بالسير نحوه. راقبها وهي تمشي بتلك الخطوات الواثقة التي تثير اعجابه. راقب شعرها يتطاير على كتفيها، وذقنها الذي يرتفع بكبرياء، والتماع عينيها الزرقاوين...

لمعت برأسه فكرة كوميض النار. فكرة مجنونة... شيء يمكنه أن يتفوه به كي يبقيها هنا بجانبه.

عندما وصلت بالقرب منه، وضعت يدها بنعومة على ذراعه وسألته: «هل جدك بخير؟».

- نعم إنه بخير.

أمسك يدها وتابع: «هو متعب قليلاً، وهذا كل شيء».

- ما فعله.. أقصد ما فعله هو ولوسيوس، عمل خاطىء جداً، لكنهما قصدا الخير لنا. كما أنه ضعيف جداً.

- ثقي بي عزيزتي، إن الصقر العجوز قوي جداً.

- أحقاً؟

تابعت وهي تبتسم: «يمكنني أن أتخيلك مثله تماماً بعد خمسين سنة».

أكملت كلامها وقد غابت الابتسامة عن وجهها: «لكنني عاملته بعدم احترام، وما كان عليّ القيام بذلك. أنت تحبه وهو أيضاً يحبك. اعتقد أنه يفعل الصواب، وإلا لما أقدم على فعل ذلك».

- أجل، لكن هذا لا يعطيه العذر الكافي.

- ومع ذلك، كان بإمكاني...

- كان بإمكانك أن تناديه متطفل، أحمق، عجوز... لكنك لم تفعلي. وكان بإمكانك أن تعامليه بالطريقة التي عاملتني بها...

قرب لوكاس يدها إلى شفتيه وطبع قبلة عليها وهو يتابع: «... أستطيع القول إن جدي نجا من العقاب حقاً».

- أحقاً؟

- بالطبع! وهو يعلم ذلك، لذلك لا تشعري بالذنب. وإن أردت الحقيقة، فهو يحترمك أكثر لأنك واجهته.

تنهدت أليسا بارتياح وقالت: «أشعر أنني بحالة أفضل الآن».

- جيد!

وضع لوكاس ذراعه حول خصرها. فكر كم يشعر بالراحة والسعادة وهو يحيطها بذراعه، حك ذقنه بشعرها، وتابع: «والآن، عزيزتي. ما رأيك في تناول فنجان قهوة في مقهى يشرف على البحر؟».

ضمها إليه أكثر وتابع: «وبعد ذلك، سنذهب إلى مونروي. إنها بلدة صغيرة حيث...».

- حيث يتم استيلاد أفضل الخيول الأندلسية. أعلم ذلك. فأول خيول أندلسية تم إرسالها إلى أميركا كانت من مونروي.

- أجل، أنت على حق. لدي مزرعة هناك أيضاً، وأريدك أن تريها.

أكمل وهما يسيران معاً نحو السيارة: «إنها المكان المفضل لدي في هذا العالم».

وعندما رآها تبتسم سألها: «ما الأمر؟».

- لا شيء. في الواقع... كل شيء. كل ما في الأمر أنني أشعر بأنني أعرفك منذ الأزل، ثم يحدث شيء ما، وأدرك مع غرابة ما يحدث، أننا ما زلنا غرباء.

توقف لوكاس، وأدارها لتواجهه.

ثم قال بصوت عميق: «في هذه الحالة، كل ما علينا القيام به هو أن نتعرف أكثر على بعضنا البعض».

تورد خدا أليسا وقالت: «أحب كثيراً فكرة التعرف عليك أكثر».

أحنى لوكاس رأسه وعانقها عناقاً طويلاً. فأمسكت قميصه بيديها الاثنين، وعندما رفع رأسه، ترنحت داخل ذراعيه.

- هل أصبت بالدوار من جديد؟ عيادة الطبيب تقع على بعد مبنى واحد من هنا.

قالت بنعومة: «أنت هو السبب. أنت من يجعلني أشعر بالدوار».

- يسعدني أنني أجعلك تشعرين بالدوار، عزيزتي.

- أشعر بالدوار، وأشعر أنني أفقد ذاكرتي أيضاً. كان عليّ أن أسألك هل تحدثت مع جدك بشأن العقد؟

ها قد وصلت لحظة الحقيقة... اللحظة التي انتظراها طويلاً.

- أجل... أجل، تحدثت معه بشأنه.

- وما الذي قاله؟

قال إن كل ما يقلقها قد انتهى، وإن العقد أصبح باطلاً وغير شرعي. وإنها ستحصل على مزرعتها، وعلى المال الذي سيعيدها إلى سابق عهدها من الازدهار...

- لوكاس! ما الذي قاله؟

إنها أصبحت حرة. حرة من أي دين، وحرة منه. حرة في أن تتركه

وترحل...

- لوكاس! حباً بالله!

- قال إنه لن يغير الاتفاق. لن يغير أي جزء منه.

- إذاً... لقد... خسرت المزرعة.

مزقت قلبه تعابير الحزن التي ظهرت على وجهها

- لا! لا، لن يحدث ذلك عزيزتي. لدي الحل المناسب.

- أحقاً؟

أحاط وجهها بيديه. تلك الكلمات التي كانت تدور في رأسه خلال الدقائق العشر الماضية، أو ربما طوال حياته... خرجت من فمه باضطراب: «تزوجي بي».

حدقت به أليسا كأنه فقد عقله. ربما هذا ما حدث له، أو ربما قد وجده للتو.

- لكن... لكننا لا نعرف بعضنا جيداً.

- بالطبع نعرف بعضنا. ألم أقل للتو إن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بيننا؟ كالاهتمام بالمزارع، وحب الخيول...

أصبح صوته أكثر عمقاً وهو يتابع: «... كما أن الانجذاب العاطفي المتبادل بيننا لا يقاوم».

ضاقت عيناه وهو يكمل: «... إلا إذا كان هناك رجل آخر في حياتك».

قالت بسرعة: «لا! ليس هناك أي رجل سواك».

كبحت نفسها عن المتابعة قبل أن تخبره بالحقيقة... بأنها تحبه، وأنها لن تحب أحداً سواه مطلقاً في حياتها كلها.

- نحن مناسبان جداً لبعضنا عزيزتي. والمتطفلان فليكس ولوسيوس عرفا جيداً ما الذي يفعلانه.

آه! إنها تريد ذلك من كل قلبها، لكن هل الاهتمامات المشتركة سبب كاف للزواج؟ والأهم من كل ما ذكر، هل يكفيها أنها تحبه، بينما ما تريده وتتمناه هو أن يبادلها ذلك الحب، هو أيضاً؟

بنعومة ورقة لامس لوكاس خدها بإصبعه وهو يقول: «أليسا، يمكننا أن نعيش حياة سعيدة جداً معاً... أعدك بذلك. قولي نعم عزيزتي، قولي نعم».

وقفت أليسا على رؤوس أصابع قدميها وعانقته. ثم قالت: «نعم».

من يصدق أن تدخُّل رجلين ينتميان إلى جهتين مختلفتين في العالم يمكنه أن يثمر مثل هذه السعادة؟

* * *

في أمسية رائعة من شهر حزيران، وبينما كان يراقب أليسا وهي تتجول بين الطاولات المضاءة بالشموع في حديقة منزله في مونروي، تتحدث بمرح إلى الضيوف في حفلة خطوبتهما التي أصر على تقديمها لها، أدرك لوكاس كم كان مسكيناً وضائعاً.

هو لم يكن يملك شيئاً قبل الآن، فليسا هي كل شيء في حياته.

أمضيا معاً ثلاثة أسابيع. ثلاثة أسابيع رائعة ومدهشة. في البداية تساءل إن كان قد دفعها على عجلة إلى وضع لا تريده. مثال على ذلك، عندما قال لها للمرة الأولى إن عليه الذهاب إلى باريس في رحلة عمل.

- هل سيطول غيابك؟

قالت ذلك بتهذيب، بينما كان يريدها أن تتوسل إليه كي لا يتركها، وما هو أفضل من ذلك، أن تسأله إن كانت تستطيع الذهاب معه.

سمع صوتاً في أعماقه يهمس متسائلاً بمنطق: «لِمَ لا تخبرها ببساطة بما تريده؟».

لكن لا دور للمنطق مع الكبرياء أو الحماقة أو مهما كان ذلك الذي جعله يتصرف بعناد. وأخيراً وبخ نفسه على حماقته، وضم أليسا بين ذراعيه ثم قال لها إن السؤال الذي عليها أن تطرحه ليس كم سيطول غيابه، بل كم من الوقت تريد أن تمضي معه في باريس.

دخلت ابتسامتها الجميلة الى قلبه بسرعة.

- هل تريدني أن أذهب معك؟ اعتقدت... أقصد... أعلم أنك لا ترغب بأن تحدث الأمور بهذا الشكل بالتحديد لوكاس، كما أنني لا أريد أن أعيق

أعمالك، فأنا لا أريد أن أبدل أسلوب حياتك.

همس لوكاس: «عزيزتي! لقد بدلته تماماً، وأنا أحب... أحب ما فعلته».

- لوكاس!

- ما الأمر، عزيزتي؟

- إنها حفلة خطوبة رائعة، شكراً لك.

ابتسم، وهمس لها: «يسعدني أنك تمضين وقتاً ممتعاً».

- منذ دقائق خلت، بدوت كأنك بعيد ملايين الأميال من هنا.

قال وهو يحيط خصرها بذراعيه ويضمها إليه: «إنني هنا. وأين سأكون، إن لم يكن بجانبك؟».

رفعت أليسا يديها لتضعها على مؤخرة عنقه، ومالت إلى الوراء بين ذراعيه.

قالت بنعومة: «أريدك أن تعلم، أنني سعيدة... سعيدة جداً».

- وأنا أيضاً.

هل قال ذلك حقاً؟ قالها بتلك النبرة الرسمية الباردة، في حين أن ما يريد قوله هو أنه... أنه...

- هاي، ها أنت تفعل ذلك من جديد. ما تلك النظرة البعيدة في عينيك؟ ما الذي يشغل بالك، سمو الأمير؟

ابتسم لوكاس من سخريتها وقال: «أفكر في الأسبوع القادم أميرتي، عندما نتزوج رسمياً، وتصبحين فعلاً لي».

تنهدت أليسا وألقت برأسها على صدره.

- كل ما يجري يبدو مستحيلاً. كيف التقينا، وكيف نهتم لبعضنا على رغم الطريقة التي اعتمدها فليكس ولوسيوس للإيقاع بنا.

جرحت تلك الكلمات قلبه تماماً كما جرحت ضميره، فما يثير مخاوفه وقلقه أكثر وأكثر أنه لم يخبرها الحقيقة. لم يخبرها أن فليكس ألغى العقد، وأنها حرة لتغادر.

عرض عليها الزواج وهو يعلم أنها لا تستطيع أن تقول لا، وهذا برهان على رغبته في الاحتفاظ بها إلى جانبه. لكن ما فعله كان عملاً أنانياً وعديم الأخلاق

إنها كذبة واضحة.

كيف يمكنهما بناء حياة سعيدة على كذبة كهذه؟

الكذبة كذبة، لا فرق إن كانت بيضاء أو سوداء!

بإمكانه أن يخبرها في وقت لاحق، عندما يصبحان بمفردهما. عندما يضمها بين ذراعيه، ويعانقها، ويبرهن لها من خلال عناقه ولمساته أنه يريدها ويحتاجها، وأنه...

سادت حركة مفاجئة بين الضيوف، ونهض العديد منهم ليبتعدوا عن أماكنهم.

- إنه جدك.

منذ أيام انتقل العجوز للعيش في شقة واسعة في الطابق الأرضي في مركز لإعادة التأهيل. راح لوكاس يزوره يومياً، ورافقته أليسا مرتين إلا أن لوكاس طلب من فليكس مسبقاً ألاّ يذكر العقد أمامها.

فكر بسرعة أن هذا سبب إضافي لإيضاح الأمور لأليسا. وبالطبع هي ستسامحه. إنها سعيدة.. ألم تقل له ذلك منذ قليل؟

عليه أن يخبرها، وأن يسمع ردها. فجأة بدا له أن هذا الموضوع أهم من أي شيء في العالم. عليها أن توافق على الزواج به للأسباب الصحيحة التي تدفع الناس إلى الزواج.

بدأ بالقول: «ليسا...».

لكنها راحت تجذبه عبر الشرفة، نحو التجمع الصغير المحتشد حول الكرسي المتحرك الذي يجلس عليه فليكس.

قالت وهي تنحني باحترام أمامه: «سمو الأمير».

ضحك فليكس وعلق: «تصرف محبب! لكنك ستصبحين حفيدتي قريباً. ألا تعتقدين أنه حان الوقت لتقبليني وتناديني باسمي؟».

ابتسمت ليسا له وطبعت قبلة على جبهته ثم قالت: «فليكس، نحن سعيدان لرؤيتك».

- وأنا أيضاً سعيد لرؤيتك، صغيرتي. ستكونين أميرة جميلة، وابني لوكاس

www.elromancia.com

رجل محظوظ.

مدت أليسا يدها وأمسكت يد لوكاس: «وأنا أيضاً محظوظة».

تابعت بنعومة: «محظوظة لدرجة أنني قررت أن أسامحك».

- آه العقد!

- أجل العقد، وذلك الشرط الملزم السخيف المتعلق بزواجنا. فمن دونه ما كنت لألتقي أبداً بلوكاس.

- هذا صحيح. مع ذلك أنا متأكد أننا جميعاً سعداء بعد...

قاطعهما لوكاس بسرعة: «جدي، دعني آخذك إلى طاولة الطعام. هناك طبق من الشوارزو الذي تحبه كثيراً، بالإضافة إلى عدد من أطباق القريدس».

- لا بأس، بني. أعلم أنك حذرتني ألاّ أذكر أمر العقد، لكن خطيبتك الرائعة هي من تحدثت عن الأمر، ويسعدني أنها فعلت. منذ أسابيع، وأنا راغب في أن أقول لها كم أنا سعيد لأنها قررت تجاهل حقيقة أنني ألغيت ذلك الشرط السخيف.

شعر لوكاس أن يد أليسا تجمدت في يده.

قال بسرعة: «أليسا! عزيزتي، تعالي إلى داخل المنزل حيث يمكننا التحدث».

تجاهلته أليسا بالكامل ونظرت إلى فليكس قائلة: «هل ألغيت الشرط وجعلت مفاعليه غير شرعية؟».

- نعم، بالطبع. حصل ذلك في المرة الأولى التي زرتني فيها إلى المستشفى. بعد أن غادرت، طلب مني لوكاس القيام بذلك.

قال لوكاس بصوت بائس كرجل يرى حياته تنهار أمام عينيه: «ليسا! ليسا... أصغي إليّ».

- أنا سعيد لقيامي بذلك. في تلك الأثناء، أنا ولوسيوس قصدنا الخير لكما لكني أدركت في ما بعد أننا قمنا بعمل خاطىء، لذلك وافقت على الغاء ذلك الشرط وترك لوكاس يتولى الأمر بمعرفته. أنت تعلمين أنه دفع كل المستحقات للمصرف، ونقل ملكية الأرض إليك. بالطبع، ألغى ذلك الشرط الملزم للزواج، لكنك تعرفين ذلك كله، عزيزتي.

ابتسم فليكس، وتابع: «أسعدني كثيراً أنك اخترت الزواج بحفيدي بالرغم من كل شيء».

للحظة طويلة، لم تتحرك أليسا. ثم استدارت لتواجه لوكاس، وعلم هذا الأخير فوراً أنه لن ينسى مطلقاً تلك النظرة التي رآها في عينيها.

قالت بصوت هامس مصدوم: «كذبت عليّ».

- لا... أجل... أقصد...

هز لوكاس رأسه وأكمل: «أردتك أن تبقي معي... هذا كل ما فكرت به. أردت أن تبقي بقربي، وبدون ذلك الشرط الملزم، اعتقدت انك سترحلين وتتركينني».

- ولهذا كذبت عليّ.

- عزيزتي، لم يكن الأمر بهذه السهولة.

- آه! بلى. كان من السهل عليك جداً أن تفعل ذلك. إنه أمر مفهوم وواضح. لمَ لا تكذب؟ هكذا يتعامل الناس معي، أليس كذلك؟ أمي أولاً، ثم أبي. والآن أنت.

- تباً! أنت لا تصغين إلى ما أقوله. أردت أن أتزوجك.

- أردت...؟

ارتجف صوتها، فمدّ لوكاس يديه محاولاً أن يجذبها إلى ذراعيه، لكنها ابتعدت عنه مخلصة نفسها من بين يديه. رفعت رأسها عالياً وهي تقول: «وهل هذا يجعل الكذب عملاً صائباً؟».

ضاقت نظرة عينيه وقال: «أنت تبالغين في ردة فعلك».

- كذبت عليّ، لوكاس! الجميع يكذب، ولا أحد يكترث البتة بتأثير كل هذا الكذب على حياتي.

- حسناً! أعترف أنني أخطأت، لكن هذا لا يغير حقيقة أنك سعيدة معي، وأنك تريدين الزواج بي، وأننا ننتمي إلى بعضنا البعض.

مرت لحظات من الصمت ثقيلة. ثم تنفست أليسا بهدوء قبل أن تقول: «هل فكرت يوماً أنني سعيدة نظراً للظروف التي مررنا بها، سمو الأمير؟ وأنه لو ترك لي

الخيار، خيار حقيقي، فقد أقول لك بصراحة لتذهب إلى الجحيم؟

- أنت لا تقصدين ما تقولينه.

- أنت من كذب، لوكاس، ولست أنا.

شعر بكلماتها كأنها صفعة على وجهه، لكنها صفعة مهدئة. فالأرض، والمزرعة هما كل ما تريده. ربما هو يعرف ذلك في أعماقه، وربما لهذا السبب لم يخبرها الحقيقة.

أرادت كل شيء يستطيع تقديمه لها، لكنها لم ترده هو.

عندما ركضت إلى داخل المنزل، أخذ الوقت الكافي قبل أن يتبعها. وصل أخيراً إلى غرفة نومها، فوجدها قد ارتدت بنطلوناً وقميصاً قصيرة الكمين، وانتعلت حذاء عالي الساقين. نظر إليها، وتساءل كيف فكر للحظة أنها نقطة الارتكاز في حياته!

جعل ذلك من السهل عليه أن يمسك بالهاتف ويرتب مسألة عودتها إلى بلادها.

١١ - علق في الشباك

في الحياة هناك حقائق مطلقة لا ريب فيها، لكن الرجل يتعلمها في عمر مبكر. وهذه الحقائق لا تتغير أبداً.

واحدة من تلك الحقائق هي: نيويورك في شهر آب.

في تلك الأيام الحارة والرطبة من فصل الصيف، تتحول المدينة إلى مكان مختلف كلياً.

وصل إلى المدينة في الصباح الباكر. والتقى بمستثمر وصاحب مصرف يحتاج إلى تطمينات بأن أمواله لن تصرف هدراً، وفكر بما يمكنه أن يفعله بعد ذلك. فانتهى به الأمر في القدوم إلى نادي إيست ساید.

مسح العرق المتصبب على وجهه من دون أن يتوقف لحظة عن متابعة السير. كل ما في الأمر هو أنه في الولايات المتحدة لأول مرة بعد مرور عدة أشهر.

أتى من أجل اجتماع عمل، وبعد ذلك اللقاء الطويل، بدا له أن بعض التمارين في هذا النادي الأنيق الهادىء فكرة جيدة جداً.

ظهر الضيق على وجه لوكاس. من تراه يحاول أن يخدع؟ بإمكانه أن يرسل مساعده الشخصي ثلاث مرات إلى الولايات المتحدة بدلاً من أن يأتي بنفسه. حاول إقناع نفسه أنه فعل ذلك فقط بسبب العمل، لكن ذلك كله مجرد هراء.

إنها أليسا!

لقد تخلت عنه منذ شهرين، ولولا شعوره بكبريائه المجروح، لنسي كل ما يتعلق بها.

هو لن يفكر بها مطلقاً بعد اليوم.

بعد مرور ساعة، استحم وارتدى سروالاً من قماش التشينو وقميصاً زرقاء

www.elromancia.com

اللون. رفع كميها إلى الأعلى، وفتح أزرار الياقة، وانتعل حذاء من القماش بدون كعبين. جلس في مكان هادىء مريح في مقهى محلي، يحيط به الهواء البارد المنعش، وحمل كوباً من عصير التفاح المثلج بين يديه.

شعر أنه بحال أفضل. لمَ لم يخطر بباله منذ البداية؟ ليس فقط التوجه إلى هنا، بل الاتصال بنيكولو وداميان ليرى إن كانا في المدينة أيضاً.

هذا ما حدث بالفعل، و...

- ريز! ماذا تفعل بحق السماء في هذا الجحيم في شهر آب؟

نهض لوكاس على قدميه. ابتسم ومدّ يده ليصافح نيكولو. الأمير نيكولو باربيري هو واحد من أفضل صديقين يمكن لرجل أن يحظى بهما.

- نيكولو!

ابتسم الرجلان لبعضهما، واحتضنا بعضهما بقوة.

قال لوكاس: «ما زلت بشعاً كالعادة».

أجاب نيكولو: «هذا تماماً ما كنت أفكر به عنك يا رجل! يسعدني أن أراك. لم أرك منذ فترة طويلة، ربما... ستة أشهر».

سمع صوت رجل آخر يقول: «بل ثمانية، لكن من يعد الأيام؟».

إنه الأمير داميان أرستيدس. ابتسم لهما الرجل وضم إليه صديقيه في عناق جماعي.

- نيكولو، لوكاس. كيف أحوالكما، بحق السماء؟

قال الرجلان بصوت واحد: «بخير».

جلس الأصدقاء الثلاثة إلى مائدة خشبية بين مقعدين طويلين مرتفعي الظهرين. اقترب النادل وهو يعرفهم منذ زمن بعيد حاملاً زجاجتين من عصير الفاكهة المثلجة. هز لوكاس رأسه ممتناً، ثم استدار نحو صديقيه.

- أليس مذهلاً أن نكون نحن الثلاثة هنا في نيويورك في الوقت عينه؟».

قال داميان: «وفي هذا الوقت من السنة. من كان ليصدق ذلك؟».

علق نيكولو: «الأعمال لا تتوقف، بغض النظر عن أحوال الطقس»..

علق داميان بنعومة: «الأولويات تغيرت بالنسبة لنا نحن الاثنين».

هز نيكولو رأسه وأجاب: «ودائماً نحو الأفضل».

ابتسم الرجلان لبعضهما. ثم استدار داميان نحو لوكاس.

- ليس بالنسبة إلى صديقنا العزيز الصامد.

رفع لوكاس حاجبيه وقال: «الصامد؟».

- لوكاس ريز. العازب الوحيد بيننا. ألم تجد بعد المرأة المناسبة لك؟

- أنت تقصد أنه لم يتم الإيقاع بي بعد. لا أقصد الإساءة إليكما...

وأضاف بسرعة: «... قصدت فقط أن الزواج ليس الحل الأفضل لكل رجل».

ابتسم داميان، وعلق: «هذا ما كنت أقوله، لكنني أدركت أنني كنت مخطئاً».

رشف رشفة كبيرة من كوبه وتابع: «والآن لوكاس، ما الذي دعاك للقدوم إلى المدينة؟».

- العمل.

- آه! اعتقدت أنه.. ربما هناك امرأة ما.

- ما من امرأة في هذا العالم تجعلني أقطع كل هذه المسافة لأراها.

تبادل نيكولو وداميان نظرات سريعة. هل تبدو نبرة لوكاس حزينة قليلاً؟

رفع نيكولو كتفيه وقال: «بالطبع. وكما قال داميان، أنت العازب الوحيد بينا...».

- لن أتعلق مطلقاً بامرأة إلى هذا الحد.

نظر صديقاه إلى بعضهما من جديد.

قال داميان: «بالطبع نحن نفهم ذلك جيداً».

- جئت لأنهي اتفاقاً مع صاحب مصرف، وهو اتفاق دقيق جداً. أراد الرجل بعض التطمينات الشفهية. اقترح أن يسافر إلى اسبانيا...

أمسك لوكاس بكوبه، وعندما رأى أنه فارغ، أشار الى النادل ليحضر له كوباً آخر. ثم تابع: «... لكنني قلت له لماذا تزعج نفسك، سأكون في نيويورك في غضون ساعات قليلة».

www.elromancia.com

قال نيكولو بحذر: «بالتأكيد، من الأفضل لك أن تعقد اجتماعك هنا، حيث بإمكانك أن تقلي بيضة على الرصيف، بدلاً من أن تجلس على الشرفة في ماربيلا مستمتعاً بالهواء المنعش القادم من البحر».

رفع لوكاس عينيه، ونظر إليه بتحدٍ: «ماذا تعني بكلامك هذا؟».

- إنه مجرد رأي.

- حسناً! رأيك بعيد عن الموضوع.

قال نيكولو بطريقة مسرحية: «يا إلهي! أنت تقصد أنه لم يعد هناك هواء منعش في ماربيلا؟».

بدأ داميان بالضحك، لكن عندما رأى الغضب على وجه لوكاس، تحوّل ضحكه إلى سعال.

- أمر مسلٍ حقاً، لكما معاً.

انتظر لوكاس حتى وضع النادل زجاجة أخرى من العصير أمامه وغادر حاملاً الزجاجة الفارغة، ثم تابع: «وإذا كنت تريد أن تقلي البيض على الرصيف، فالمكان المناسب لتفعل ذلك هو في الجنوب من هذه البلاد».

- فلوريدا! قرأت مرة مقالة عنها، وقال الكاتب...

قاطعه لوكاس: «الطقس حار جداً في تكساس. من المؤكد أنك تستطيع أن تقلي بيضة على الرصيف هناك».

رمش صديقاه عيونهما، وقال نيكولو: «تكساس؟».

- هذا إن كانت هناك أية أرصفة في تكساس، في الواقع.

- اسمع! سكان أوستن ودالاس وأماكن أخرى سيتزعجون حقاً إن سمعوا أنك تقول...

قال لوكاس ببرودة: «ليست تكساس إلا منطقة مليئة بالأشواك والثعابين التي تحترق تحت أشعة الشمس».

ابتلع رشفة كبيرة من العصير وتابع: «إن لم أرها ثانية في عمري كله، فلن يكون ذلك كافياً لأنسى ذلك».

هذه المرة، النظرة التي تبادلها نيكولو وداميان بدأت بالتساؤل عما يتحدث

عنه لوكاس، وانتهت بتفاهم صامت بينهما يقول إنه من الأفضل أن نكتشف الأمر.

سأل نيكولو بحذر: «ألديك شكوى شخصية ضد تكساس؟».

- ولمَ يجب أن يكون لدي شكوى بحق السماء؟

- حسناً! لا أعلم. كل ما في الامر... تبدو كأنك...

- قابلت امرأة في تكساس.

هذا فعلاً ما حصل بكل بساطة. فما يزعجه ويحفر في أعماقه طوال النهار، تباً! بل في كل ساعة من كل يوم منذ اللحظة التي تركته فيها أليسا أصبح واضحاً للعلن.

نظر نيكولو إلى داميان، ونظرته تقول: جاء دورك. تنهد داميان، وقال بصوت هادئ: «وماذا بعد؟».

- ماذا بعد... لا شيء. فقط، قابلت امرأة منذ عدة أشهر في تكساس، وهذا كل شيء.

عقد داميان ذراعيه، وحدق بتعجب بنيكولو الذي هز رأسه كأنه لا يفهم ما الذي يجري أمامه.

- أهذا كل شيء؟ قابلتها منذ عدة أشهر، والآن تتمنى ألاّ ترى تكساس مرة ثانية؟

- هذا صحيح تماماً.

- وهل لهذه المرأة اسم؟

- أليسا.. أليسا مونترو ماكدونوف. اسمعا، انسيا أنني قلت أي شيء. أصبحت السيدة من الماضي، وهي لا تعني أي شيء بالنسبة لي.

- آه! حسناً! في هذه الحالة...

- التقينا لأن جدي قال لي إنه يريدني أن أذهب إلى هناك لأشتري فرساً، لكن تبين لي أنه أرادني أن أشتري عروساً.

فتح داميان فمه، فرفسه نيكولو على كاحل قدمه.

- حسناً! بالطبع، أنا لست غبياً. ما كنت لأسمح أن يوقع بي أي شخص في

فخ الزواج. قلت ذلك لأليسا. واستمريت في قول ذلك لها، حتى بعد أن أخذتها معي إلى إسبانيا.

هذه المرة، قام داميان برفس نيكولو.

- انتهى بي الأمر بالقيام بتصرفات حمقاء... حمقاء ولا تصدق...

تابع بصوت أجش، والحزن واضح على وجهه: «بعد ذلك أقدم فليكس على قول شيء ما كان عليه قوله، فأظهرت السيدة التي نتحدث عنها صفاتها الحقيقية وغادرت».

انتظر صديقاه أن يتابع، لكن لوكاس انشغل بشرب المزيد من العصير. تنهد نيكولو، ثم قذف الكلمات بهدوء.

- هل عادت إلى تكساس؟

هز لوكاس رأسه.

- وأنت قلت الحمد لله على خلاصك منها

- بالطبع!

تجهم وجه لوكاس وأضاف: «حسناً! فكرت بالأمر».

- لكنك لم تقل لها ذلك بوجهها.

- لا!

ساد الصمت من جديد. وعلم داميان أن دوره حان للسير بخطى بالغة الدقة على الثلج الرقيق.

- إذاً، أهذه هي المشكلة؟ أقصد، ألهذا السبب أنت في هذا المزاج؟

- أي مزاج؟

سأله لوكاس، لكنه رفع كتفيه ثم تابع: «نعم. ربما... ومن المحتمل... تصرفت بحماقة، وتركتها تتخلى عني، لكنني لم أقل لها مطلقاً...».

- لم تواجهها مطلقاً.

- أجل.

قال نيكولو ببطء: «أتعلم؟ مع أن الأمر لا يعنيني مطلقاً، لكن...»

تابع داميان عنه: «هذا صحيح. أقصد.. إنني متأكد من أن نيكولو

سيعطيك ذات النصيحة التي سأقولها لك».

قال نيكولو: «اذهب لرؤيتها، وحدد موقفك أمامها».

نظر لوكاس إليهما وقال: «أأذهب لمقابلتها؟»

- بالطبع! اذهب إلى تكساس. واجه السيدة، وقل لها ما كان عليك قوله لها عندما تخلت عنك ورحلت.

لم يقل لوكاس أي شيء، بل رفع كوبه وحركه بين يديه كأنه يرسم دوائر على سطح الطاولة.

قال داميان: «بالطبع! سافر إلى تكساس، وقل للسيدة ما يدور في رأسك. أليس كذلك، باربيري؟».

هز نيكولو رأسه بسرعة وقال: «بشكل مطلق».

تحركت عضلة في وجه لوكاس، وقال: «أنتما على حق. كان عليّ التفكير بذلك بنفسي. أنا بحاجة إلى مواجهتها. يجب أن أقول لليسا...».

قال داميان: «اعتقدت أن اسمها أليسا».

وانتظر أن يشعر برفسة على كاحله، لكن ذلك لم يحدث.

تحركت العضلة في فك لوكاس مرة ثانية، وقال: «ناديتها ليسا عندما اعتقدت... هذا أمر لا أهمية له. شكراً لكما على النصيحة».

- حسناً! من أجل ذلك وُجد الأصدقاء.

وقف الرجال الثلاثة معاً، تصافحوا ثم أمسكوا بأكتاف بعضهم وهم يضغطون على عضلاتها بقوة. بعدئذٍ مد لوكاس يده إلى محفظته، فلوحا له ليرحل.

قال داميان: «فقط، ارحل».

راقباه وهو يسير بخطى واسعة ليخرج من باب المقهى. بعد ذلك ابتسم نيكولو وقال بتعومة: «ذلك المسكين الأحمق، إنه واقع في الحب حتى أذنيه!».

ابتسم داميان لصديقه، وقال: «هذا شخص آخر ينضم إلى المجموعة».

ثم لوح إلى النادل ليحضر لهما شراباً ليحتفلا بمناسبة وقوع صديقهما الوسيم في شباك الحب.

www.elromancia.com

١٢ - واشتعل الحب...

أليسا ليست في مزاج جيد هذه الأيام، مع أن سير العمل في المزرعة متقدم جداً.

انزاح عن كاهلها هم تسديد الضرائب، ولم تعد مدينة للمصرف، وأصبحت المزرعة الكبرى لها.

ظهر الضيق على وجهها وهي تمرر اللجام فوق رأس بيبي الأسود الداكن.

أجل. الحياة جيدة وسوف تصبح أفضل، إن استطاعت فقط أن تتوقف عن التفكير بذلك الأمير الإسباني المتفاخر الباذخ، وبكل ما كان عليها قوله له ولم تفعل، سوف تصبح في مزاج أفضل.

قادت حصانها بيبي في الصباح الباكر من أحد أيام شهر آب في نزهتهما الصباحية قبل أن تبدأ بالعمل. إنها الساعة السادسة صباحاً، وقد أصبح الجو حاراً منذ الآن.

فكرت وهي تتمايل على ظهر الحصان: «حسناً! هذه هي تكساس».

لا بد أن الوقت ليل في مزرعة مونروي، وفي مقاطعة ماربيلا، أيضاً. لا شك أن الطقس حار هناك، لكن النسيم العليل البارد القادم من بين الأشجار الباسقة من جهة، ومن البحر من الجهة الأخرى يخفف الحر ويلطف الجو.

حسناً! من الذي يهتم لذلك؟ سواء كان الطقس حاراً أم بارداً، فهي تفضل تكساس.

الناس هنا أكثر صدقاً، هذا إذا استثنت ثاديوس الذي استقبلها بالقول إنه سيسعد بشراء المزرعة، لا سيما أنها أصبحت الآن لها، وهكذا ستتمكن من البدء بحياة جديدة، من دون أن يزعج نفسه بأن يذكر لها أنه يريد بيعها إلى

المستثمر الجديد.

عليها أن تستثني أمها أيضاً، وكذلك لوسيوس. لقد كذبا عليها بأسوأ طريقة يمكن تخيلها. مع أنها تعترف بألم أنها تتفهم ما حدث مع مرور الوقت.

سواء كان عملهما خاطئاً أم صائباً، فقد كذبا عليها بسبب الحب، وانظر ما الذي فعلته هي بنفسها بسبب الحب.

لا، ليس الحب! إنها لم تحب لوكاس أبداً. آه! ها هي تكذب الآن أيضاً، لكن عليها أن تقول لنفسها شيئاً ما لتبرر هروبها منه.

شخر بيبي، وكذلك أليسا، فمالت فوق رقبته.

- أنت حبي الوحيد!

همست بذلك وهما ينطلقان عبر الطريق الترابي الطويل الذي يقودهما إلى المنزل.

ما الذي تراه أمامها؟ إنه شيء كبير وأسود، يلمع تحت أشعة الشمس الحارة. أهو ثور، أم آلة مكسورة من المزرعة المجاورة؟ أم أنه حصان؟

إنها شاحنة كبيرة سوداء وجديدة. وهي تقف مباشرة في وسط الطريق، وذلك السائق الأحمق يقف بجانبها.

جذبت أليسا اللجام إلى الوراء، فشخر بيبي، رافضاً أن يفسد نزهة الصباح بسبب دخيل، وكذلك فكرت هي.

آه، يا إلهي! حتى من تلك المسافة البعيدة، لا مجال لتخطىء في معرفة هوية الرجل.

تلك الوقفة الواثقة التي تقول: أنا ملك هذا الكون! وذانك الذرعان اللذان ينعقدان فوق صدره، وذلك الرأس الذي يرتفع بكبرياء... عاد الأمير الإسباني!

فكرت أنها تستطيع أن تدفعه للركض والقفز من جديد، وأن تمر مباشرة أمامه كما فعلت في المرة الأولى، لكن الأمير الأحمق المتفاخر استدار من وراء الشاحنة ووقف مباشرة أمامها.

همست محدثة الحصان: «هيا، عزيزي!».

دفعته للسير ببطء، وعندما وصلت أمام الأمير، توقفت.

- هذا طريق خاص.

قال بتهذيب: «لا، إنه ليس كذلك».

- هناك مزرعة واحدة في نهاية الطريق، وأنت شخص غير مرحب به هناك.

- هذا لا يعني أنها أصبحت ملكية خاصة.

حفر بيبي الأرض أمامه ورفع رأسه عالياً. فمالت أليسا إلى الأمام، وهمست بكلام ناعم في أذنه، فهدأ على الفور.

قال الأمير الإسباني: «لديك لمسة رائعة».

لم تقل أليسا شيئاً. أيصدق حقاً أن هذا الإطراء سيحمل أي معنى لها؟

- لا سيما مع الخيول.

تورد خداها. وفكرت في عدد من الأجوبة لترد عليه، لكنها تجاهلتها كلها.

- ما الذي تريده، سمو الأمير؟

ما الذي يريده؟ بالطبع يعرف لوكاس ما الذي أتى به إلى هنا. أتى لكي يواجهها، لكنه ما إن رأى أليسا، حتى لم يعد متأكداً ما هي الغاية من المواجهة.

لم يجبها، فنظرت إليه ببرودة وقالت: «لن أعيد لك صك الملكية».

- أنا لا أريده.

- إذاً ما الذي تريده؟ قل بسرعة من فضلك، فلدي عمل علي القيام به.

- سمعت أنك تدربين الخيول وتتاجرين بها.

ابتسم الأمير. هي تكره تلك الابتسامة، لأنها مليئة بالثقة والاعتداد بالنفس و...

- نعم، أنا أدرب الخيول وأتاجر بها. ليست خيولاً أندلسية مثل خيولك، لكن هناك من يهتم بأكثر مما كُتب في شهادة ميلاد الحصان.

إنها صفقة صغيرة وهي تعلم ذلك. فخيول الأمير الإسباني كلها رائعة. لقد امتطت بعضاً منها معه.

- لديك بيبي.

- بالنسبة إليك هو مجرد وحش.

ابتسم الأمير من جديد. وقال: «وحش! ربما تسرعت في الحكم عليه. الآن وأنا القي عليه نظرة أخرى، يمكنني أن أرى أنه حيوان جميل».

- لا تحاول معاملتي بتنازل.

- أنا لا أفعل ذلك. إنني صادق، فهو جميل شجاع... قوي.. وذكي. وهذه هي الصفات التي يطلبها الرجل.

تجهم وجه لوكاس وتوقف عن الكلام. هل ما زالا يتحدثان عن الحصان؟ ما الذي حدث لذلك الكلام المنمق الذي أراد أن يقوله لها؟ ألم يكن ينوي أن يقول لها رأيه بالمرأة التي تستغل الرجل لتحصل على ما تريده منه؟

صحيح أن عقد الاتفاق قد فسخ، لكنه هو من اقترح الزواج بموجب تلك الشروط العملية. قال إنهما يهتمان لبعضهما، وإنهما إذا تزوجا، ستنفذ بنود العقد وستحصل أليسا على أرضها. لِمَ يلقي اللوم عليها إذاً لتركها إياه بعد أن علمت أن لا وجود لعقد؟

لِمَ يلقي اللوم عليها لتركها إياه بعدما علمت أنه كاذب؟

لِمَ يلقي اللوم عليها بسبب أي شيء سوى... تحطيم قلبه؟

ألم تدرك أنه يحبها.. بل يعبدها؟ وأن حياته لا معنى لها بدونها؟ ألا تشعر مثله تماماً؟

هو يعلم أنها تشاركه الأحاسيس ذاتها، ففي كل الأوقات الحميمة بينهما، كانت تستسلم لعناقه بطرق لم يعرفها من قبل. طرق تشمل القلب والروح وليس الحواس فقط.

شخر الحصان بفقدان صبر.، وبدا أن أليسا أيضاً فقدت صبرها.

بإمكانه أن يرى بوضوح أنها اكتفت من كل هذه الحماقة، وهو أيضاً...

- وداعاً، سمو الأمير.

وكزت بعقبي قدميها جانبي الحصان، فمال لوكاس إلى الأمام وأمسك باللجام.

- انزلي عن الحصان!

راحت تضحك وتضحك... تباً! لم يأتِ إلى هنا قاطعاً هذه المسافة الطويلة

لتضحك منه.

- قلت...

- سمعت ما قلته. وأقترح عليك أن تترك اللجام وإلا سأسير مباشرة فوقك.

صرخت بقوة ما إن سحبها لوكاس عن ظهر الحصان.

- دعني! ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ تباً لك، لوكاس!

- إنني أحمق، وسأكون أحمق حتى الأبد وكذلك أنت إن استمرينا بالكذب على أنفسنا وعلى بعضنا البعض.

- ألديك الجرأة لتتحدث عن الكذب؟

أبعدت أليسا شعرها إلى الوراء، وقد تلوّن خداها بلون وردي، بينما لمعت عيناها كوميض من النار وهي تتابع: «أنت أكبر كاذب في العالم كله».

وضعها لوكاس على قدميها، وهو يقول: «أعترف بذلك. كان عليّ إخبارك الحقيقة، وبأن العقد أصبح ملغى ولا مفاعيل له، لكن...».

- لكن، أنت دائماً تحصل على ما تريده. أردت زوجة وأنا كنت في متناول يدك.

- لا يمكن أن تصدقي ذلك حقاً.

المشكلة هي أنها فعلاً لا تصدق ذلك. فهذا هو الشيء الوحيد الذي لم تتمكن من إيجاد إجابة منطقية له. إن أراد لوكاس ريز زوجة، فهناك المئات من النساء اللواتي يستطيع الاختيار بينهن، وهذا ما كان يبقيها مستيقظة معظم الليالي لتفكر بذلك السؤال.

- ولماذا إذاً أبقيت الحقيقة سراً عني؟

تنفس لوكاس بعمق، احتفظ بالهواء داخل صدره، ثم زفره بهدوء. إنه رجل بائس يماطل مضيعاً الوقت، وهو يعلم أن عليه إيجاد طريقة ليقول ما عليه قوله من دون أن يبوح بكل شيء.

لم يشعر مرة بحياته أنه عرضة للسقوط والضعف كما هو الآن.

- أرأيت؟ لا يمكنك أن تعطيني أي سبب آخر لأنك لا تملك سبباً آخر. فكرت في الأمر، ووجدت أن الوقت حان كي تتزوج وهذه هي، هذه الأنثى

البسيطة السهلة الإذعان.

ابتسم لوكاس: «أنت بسيطة وسهلة الإذعان؟ أنت، عزيزتي؟».

- مهما يكن. كنت متوفرة وأنت...

- وأنا...

تابع وقد نسي أن البوح بكل شيء قد يكون خطراً عليه: «وأنا..».

أمسك بوجهها، وأداره إليه وثم حدق في عينيها وهو يتابع: «أغرمت بك بجنون».

فتحت أليسا فمها، ثم أغلقته. إنه أمر مدهش! لأول مرة في حياته، يقول شيئاً لا تستطيع ليسا الرد عليه ومهاجمته.

- لمَ تبدين مندهشة هكذا، عزيزتي؟

أصبح صوته ناعماً كالحرير، وكذلك لمسة يده وهو يتابع: «ألم تدركي مطلقاً ما الذي حدث لي؟».

يا إلهي! ما هذا التكبر والعجرفة!

- هل كان عليّ أن أدرك ما الذي يحدث معك؟

أجاب بنعومة: «أحبك.. أعبدك... ليسا. كنت جباناً، ولم أعترف بذلك حتى لنفسي. تمسكت بذلك العقد وبالشرط المستحيل لأحتفظ بك».

شعرت أليسا أن عينيها تمتلآن بالدموع. لن تدع ذلك يحدث ابداً. لن تدع الأمير يراها تبكي، لأنه بذلك سيكتشف الحقيقة، سيدرك أنها أحبته، وأنها لم تتوقف عن حبه مطلقاً.

ابتلعت غصة بصعوبة وقالت: «و... أهذا كل شيء؟ أنت تحبني، ومن المفترض أن أقول: هذا رائع، إنني أسامحك على كذبك عليّ لأنني أحبك أيضاً؟».

ابتسم وقال: «وهل تفعلين؟».

- أأسامحك؟

- هل تحبينني؟

تجمد الوقت والعالم والكون كله في تلك اللحظة. نظرت أليسا إلى عيني

www.elromancia.com

أميرها الإسباني الذهبتين. . . أميرها! وتركت كل الحب الذي يختزنه قلبها وأعماقها ينطلق حراً.

قالت: «نعم. آه! نعم، لوكاس. أحبك، أحبك».

ضمها إليه، فرفعت ذراعيها ولفتهما حول عنقه. عانقها لوكاس بحرارة وعمق، وأراد أن يستمر عناقهما إلى الأبد. لكن الحصان صهل، وتقدم إلى الأمام ليدفع بأنفه الأسود الطويل كتف لوكاس.

ضحك لوكاس قائلاً: «إنه يغار».

ابتسمت أليسا وقالت: «لديه كل الحق بأن يفعل».

شدّ لوكاس ذراعيه حولها وقال: «أليسا مونترو ماكدونوف، هل تشرفينني بأن تصبحي زوجتي؟».

الدموع التي حبستها أليسا طويلاً، انهمرت أخيراً من عينيها المشعتين.

قالت: «سأكون فخورة جداً بالزواج بك، سمو الأمير».

عانقها لوكاس من جديد. ثم امتطى الحصان، وجذب خطيبته لتصعد وراءه، وانطلقا ببطء في ذلك الصباح الجميل الدافىء من أيام تكساس.

* * *

اعترف كل من حضر الزفاف بأن حفلة زواجهما بدت خيالية.

أقيم الاحتفال في مقاطعة ريبز في ماريبلا على سفح تلة تشرف على البحر. بدت العروس فاتنة الجمال وهي ترتدي فستاناً طويلاً من الدانتيل الأبيض. مع أن الفستان جديد، لكن الخمار الرقيق هو الخمار نفسه الذي وضعته جدة العريس يوم زفافها.

بدا العريس وسيماً جداً ببذلته السوداء الرسمية، أما إشبيني العريس، وقد أصر العريس أن يكونا اثنين، فبدوا وسيمين أيضاً في بذلتيهما الرسميتين.

تعالت أصداء الموسيقى في كل مكان وقدم الكثير من الشراب الفاخر، والفريدس وشرائح من السمك. عزفت موسيقى الفلامنغو، وألحان على آلات رباعية الأوتار، وقدمت فرقة موسيقية مشهورة ألحان الروك، وبعد فترة طويلة بدأت بعزف ألحان قديمة رومنسية. نهض فليكس عن كرسيه

المتحرك ورقص مع العروس.

أخيراً، انسحب العروسان خلسة. وحمل العريس عروسه عبر الدرج إلى غرفة نومه التي أصبحت الآن غرفة نومها. عانقها بنعومة، وهمس باسمها، ثم خرج إلى الشرفة، بعد أن شعر بالتوتر كأي رجل سيقيم علاقة حب للمرة الأولى مع عروسه.

أمضيا الأشهر القليلة الماضية بعيداً عن أية علاقة حميمة بينهما. وهي ثلاثة أشهر إذا احتسبنا الوقت الذي أمضياه مفترقين. ومنذ أن تصالحا، اكتفى لوكاس بمعانقتها برقة بعض عناقات خفيفة، أو بطبع قبلات لطيفة على يديها كلما كانا معاً. أراد أن ينتظر ليلة زفافهما ليحظى بعروسه العذراء الرائعة بجدارة.

عندما أصبحت بمفردها، نزعت أليسا عنها ثياب العرس الفاخرة وارتدت ثوباً رقيقاً من الحرير الأبيض اللون صنع يدوياً، كانت دولوريس قد أهدته لها. أشرق وجهها بالسعادة والفرح عندما نظرت إلى صورتها في المرآة.

استدار لوكاس عندما تلفظت باسمه. شعر بقلبه يخفق بشدة ما إن رأى زوجته الجميلة.

قال: «أحبك من كل قلبي».

اقتربت أليسا منه فضمها إلى صدره وعانقها، قبل أن يحملها بين ذراعيه إلى سريرهما حيث الوسائد البيضاء وغطاء السرير مليئة بأوراق الورد الأحمر.

أمسكت ليسا بيده عندما أصبح قربها في السرير، وقالت: «نعم هذه ليلتنا الأولى كزوج وزوجة لكنها ليست ليلتنا الأولى معاً. أتذكر أميري الغالي تلك الليلة التي غفونا فيها من دون أن ندرك أننا ننام في سرير واحد؟».

همس وهو يعانقها: «لن أنسى ذلك مطلقاً، غاليتي».

ثم تابع متأثراً: «كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها امرأة لا تحاول إيقاعي في شباكها. أدركت أنك فتاة بريئة مع أنني حاولت إقناع نفسي بعكس ذلك».

- أحقاً؟ وهل تريد أن تتأكد بنفسك الآن؟

امتلأت عينا لوكاس بسحر خاص وهو ينظر إليها، ما جعل الحذر يتسلل إلى

حواسها ويملؤها بهجة ثم ضم أميرته بين ذراعيه وعانقها . في تلك اللحظة بالذات اشتعلت السماء بالألعاب النارية، فملأت الأضواء السماء واشتعل الحب في سريرهما .

www.elromancia.com
مـــدرســـيـــة